

١٩٤٨

النكبة

عملية التهجير الفلسطيني



أيار (مايو) ٢٠١٠

مقدمة



شهد أيار (مايو) ٢٠٠٨ ذكرى مرور ستين عاماً على أحداث النكبة الفلسطينية. والمتمثلة بعمليات اقتلاع شعب من جذوره وتشريد أكثر من ٩٠٠ ألف فلسطيني من بيوتهم ومزارعهم ومتاجرهم ومعابدهم وأراضيهم. وأصبحوا اليوم حوالي أربع ونصف مليون لاجئ في دول العالم العربي والمهجر. لقد خططت ونفذت واستخدمت المنظمات الصهيونية المسلحة (الهاغاناه، اتسل ولبحي) وبأوامر من نخب القيادات الصهيونية، كافة الوسائل وعلى رأسها القوة المسلحة في عمليات التهجير العرقي بالقتل والنهب والتدمير والطرده والتهجير بهدف تفرغ فلسطين: «التجرد من سكانها الأصليين» ضمن الإستراتيجية الصهيونية لإقامة «مجتمع المهاجرين والمستوطنين من عنصر واحد» على أرض فلسطين؛ وبتغيير ارتثها وتراثها وأهلها وأيضاً تغيير اسمها الى «أرض اسرائيل»

ويستعيد الفلسطينيون جرح النكبة الأليم الذي يعيش في كل فلسطيني وكل مؤمن بحقوق الإنسان ذكرى شهداءهم وضحاياهم وخسائرهم وإحياء الذاكرة والرواية الوطنية، حول تدمير ٤٠٠ قرية واخلاء أكثر من ١١ مدينة وتشريد الآلاف. وحتى لا تختزن الحقيقة في أرشيف التاريخ او يستمر العالم في تجاهل التراجم الفلسطينية. وفي الوقت الذي يقيم الإسرائيليون فيه الاحتفالات الصاخبة وبحضور ومشاركة العديد من زعماء العالم «العيد» الستين «لولادة» دولتهم.

هذا وقد مضى أيضاً، أكثر من خمسة عشرة عاماً على «الاعتراف» الرسمي لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بدولة اسرائيل على اكثر من ٧٨٪ من أرض فلسطين، و«قبولها» كدولة على حدود وقف اطلاق النار ١٩٤٩، على أمل اقامة دولتهم على ٢٢٪ من أرض وطنهم، ولكنهم ما زالوا يعيشون «النكبة» دون تحقيق آمالهم في تقرير المصير والحرية.

فالنكبة الثانية، في استمرار حياتهم تحت سلطة الاحتلال العسكري الاسرائيلي وفي تقطيع الاوصال بين مدنهم وقراهم، والزحف الكولونيالي الصهيوني على ارضهم ومصادرتها، بالإضافة الى ملايين اللاجئين الذين يعيشون آلام المنفى، وايضاً اولئك الفلسطينيين الذين ثبتوا وصمدوا في مدنهم وقراهم داخل حدود اسرائيل، ويعاملوا في مرتبة الدرجة الثانية في وطنهم، ومهددون في مواطنتهم ومستقبلهم.

وتهدف هذه النشرة الى مراجعة الذاكرة الوطنية حول النكبة، ونشر الوعي حول حقيقة الكارثة التي تم تحجيمها في اذهان الكثيرين الى احداث وقعت خلال اشهر، وعلى «أيدي افراد» في مراحل الصراع العنيف وجرى تسميتها «حرب العام ١٩٤٨» انها في الحقيقة عملية مستمره من الاستعمار الكولونيالي وكان قد بدأ مع المستعمرات الصهيونية الاولى ومع فكرة حركة صهيونية منظمة في نهاية القرن التاسع عشر.

لقد صاحب تأسيس الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١، زخماً سياسياً واعلامياً كبيرين، اذ كان هدفه المعلن الاستيلاء على أرض عربية من فلسطين وسوريا وسيناء.

هذا وتستمر عملية النكبة الى يومنا من خلال ممارسات التمييز العنصري والفصل الاثني والتفرقة والتوسع في الاستيلاء على الأراضي العربية من قبل المؤسسة الرسمية والحزبية والدينية الإسرائيلية والتي تتمتع بتسهيلات او بانتقاد ناعم وخافت من المجتمع الدولي الذي كان ولا يزال رديفاً وداعماً ومولاً للإستراتيجية الإسرائيلية على مدار السنوات الستين للنكبة الفلسطينية.

خطة الأمم المتحدة للتقسيم - ١٩٤٧

PASSIA

www.Passia.org



الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس

هاتف: +٩٧٢ ٢ ٦٢٦٤٤٢٦ فاكس: +٩٧٢ ٢ ٦٢٨٢٨١٩

فلسطين في العهد العثماني



تشكلت فلسطين في العهد العثماني من ثلاثة سناجق، أو ثلاثة ألوية، حيث حكم كل منها حاكم لوائي، وقد خضع من بينها سنجقي عكا والبلقاء (نابلس) لإدارة ولاية بيروت الكبرى، في حين كان السنجق الأكبر للقدس مستقلا نظرا لأهميته الدينية والتاريخية وتبع حاكمه للسلطان العثماني مباشرة (أنظر الخارطة).

تجاوزت المجموعة السكانية لفلسطين في العهد العثماني في عام ١٨٧٨ ما عدده ٤٤٠,٠٠٠ نسمة، وتشكلت من مجموعات عرقية متعددة ومن منتسبي طوائف مختلفة من الأديان التوحيدية الثلاث التي حافظت كل منها على وجودها في المنطقة لما يزيد عن ألفية من الزمان. وشكل المسلمون الأغلبية الساحقة من مواطني فلسطين في العهد العثماني (٨٨ بالمائة)، والذين خضعوا لفترة متواصلة للحكم الإسلامي منذ عام ١١٨٧. وشملت هذه المجموعة السكانية طائفتي السنة (الأغلبية العظمى) والشيعية وكذلك أعضاء في الطائفة الدرزية، كانت غالبية السكان من الريفيين حيث شكلت الزراعة المصدر الأساسي للدخل ومركز الحياة التقليدية.

وشكل المسيحيون من الطوائف المختلفة ما نسبته ٩٪ من السكان في عام ١٨٧٨، حيث عاشوا في مجموعات مدنية متواصلة منذ أمد بعيد، ووصلت نسبة اليهود ٣٪ أي النسبة الباقية من المجموع الكلي لسكان فلسطين ويعدد يقارب ١٤,٠٠٠ نسمة عاش أغلبيتهم في التجمعات السكانية المدنية. ^① وقد تألفوا بالأساس من المواطنين اليهود الأرثوذكس في الإمبراطورية العثمانية دون أن تكون لهم أجنادات أو ولايات منفصلة.



السلطان عبد الحميد الثاني

وعندما بدأت الصهيونية بتهديد التوازن السوي ما بين الثقافات في فلسطين، جاءت الاحتجاجات على الهجرة اليهودية من قبل العرب والفلسطينيين والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي رأى في الحركة الصهيونية أداة للأطماع الاستعمارية الأوروبية في المنطقة وقد سعى إلى تقييد المخاطر التي تواجه إمبراطوريته المتداعية.

أما «الأتراك الشباب» الذين سيطروا على الإمبراطورية العثمانية منذ عام ١٩٠٨، فقد أبدوا امتعاضهم من وصول وتدفق أعداد كبيرة من الروس اليهود إلى فلسطين مما يعزز احتمالية تقوية الاهتمام بالمصالح الروسية المتمثلة بالسيطرة على حرية الوصول إلى مضيق البوسفور ومنطقة البحر الأبيض المتوسط من موانئهم في البحر الأسود.

إنطلاقاً من اعتزازهم بهويتهم العربية وأسلافهم الكنعانيين، أقام سكان فلسطين مجتمعاً حيويًا ذو إرث ثقافي غني استثمر على نحو عميق في المدن، القرى والبقاع التي سكنوها لألفية من الزمن، ونظراً لتبعيتهم للسلطان في إسطنبول، فقد شكلوا جزءاً من الحركة غير المركزية في الولايات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية والتي سعت للحصول على حكم ذاتي وتقرير المصير لشعبها.



الوعي الفلسطيني للتحديات الصهيونية

كان الفلسطينيون على وعي عميق بالتهديد الصهيوني لأرضهم منذ مرحلة مبكرة للغاية. فمنذ عام ١٨٩٩، كتب رئيس بلدية القدس (يوسف ضياء الدين الخالدي) لحاخام فرنسا الأكبر (صادوق خان) يذكره بأن الفلسطينيين شعباً عريقاً ويقترح عليه البحث عن مكان آخر لمشروع الحركة الصهيونية من أجل أن يحققوا فيه طموحاتهم السياسية، فكتب «اتركوا فلسطين بسلام» وجاء الرد من ثيودور هرتسل: «أن تقول للسيد صادوق خان بأن من شأن اليهود تحقيق ما هو أفضل في حال تغيير وجهتهم الى مكان آخر، قد



نجيب نصار



الصحف الفلسطينية

من سوريا، العراق وشبه الجزيرة العربية. كما أنه حذر من الأطماع الصهيونية في فلسطين وتنبأ بالصراع ما بين الحركات القومية في الشرق الأوسط.

وفي عام ١٩٠٨ انتُخب ثلاثة ممثلين من محافظة القدس، روجي الخالدي، سعيد الحسيني وحافظ السعيد للبرلمان العثماني، وخولت إسطنبول إلى منبر لمعارضة الصهيونية. وفي الوقت ذاته، تم تأسيس ثلاث صحف فلسطينية من أجل زيادة الوعي بشأن مخاطر الاستعمار الصهيوني: (القدس، النجاح والكرمل).



عيسى داود العيسى

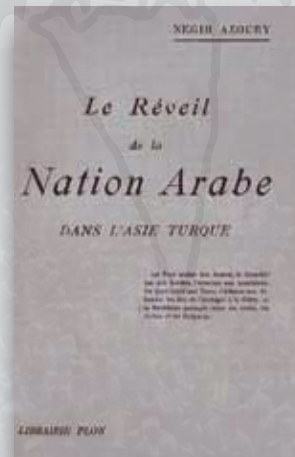
وفي العام التالي، تأسست صحيفة (المفيد) في بيروت بإدارة محررها عبد الغني العريسي. وصدرت في عام ١٩١١ صحيفة (فلسطين) بنشرة واحدة كل أسبوعين محررها عيسى داوود العيسى في يافا، حيث خاطبت قراءها بكلمة «فلسطينيين» وحذرتهم من عواقب الاستعمار الكولونيالي الصهيوني. كما وترأس عبد الغني العريسي المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣، والذي طالب بالحكم الذاتي للولايات العربية ووضع أسس ورؤيا عربية لفلسطين ما بعد العهد العثماني.



نجيب عازوري



يوسف ضياء الدين الخالدي



يقظة الامة العربية

يحصل ذلك على نحو جيد في اليوم الذي تعي فيه أن تركيا لا ترغب في أخذ قسط من المنافع الهائلة التي تعرضها حركتنا.. لقد قمت بتسليم عروض جلالة السلطان، وفي حال عدم قبوله لها، فسنسعى لها وصدقني بأنها سنجد مبتغانا من مكان



عبد الغني العريسي

تناقضات الوعود والتحالف البريطانية



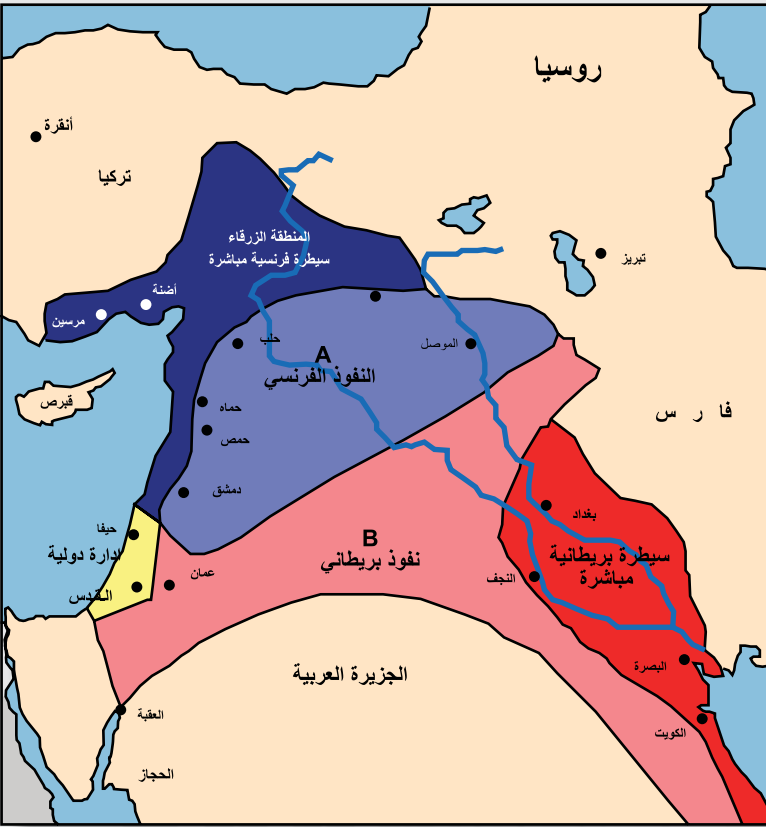
الشريف الحسين بن علي

قامت الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى بإجراء ثلاث اتفاقات متزامنة ومتناقضة من أجل تعزيز مصالحها الاستراتيجية. فكانت مراسلات حسين-مكماهون في ١٩١٥-١٩١٦ والتي تعهدت فيها بريطانيا بدعم إقامة دولة عربية في الأراضي التي حكمتها آنذاك الإمبراطورية العثمانية، بما فيها فلسطين. مقابل دعم عربي عسكري للحملة البريطانية ضد العثمانيين.



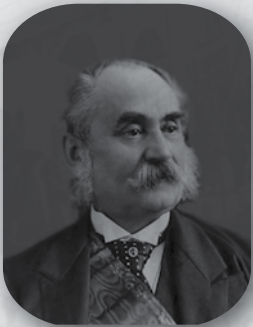
الندوب السامي البريطاني في القاهرة: هنري مكماهون

(تظهر الخارطة أدناه الدولة العربية باللون الأخضر. أما المنطقة باللون البرتقالي في الشمال كان من المفروض استثنائها). إذ ادعى مكماهون بأن تلك المقاطع من الأرض «لا يمكن لها أن تكون عربية بالكامل».



خارطة سايكس-بيكو ١٩١٦

وفي الوقت ذاته، أجرى البريطانيون والفرنسيون مباحثات سرية لتقاسم المصالح في الأراضي العربية «الموعودة» بالاستقلال مع التي وُعد بها الشريف الحسين بن علي. وقد رسم الاتفاق الذي تفاوض حوله السير مارك سايكس وفرانسوا جورج-بيكو خارطة المنطقة على شكل «مناطق من الهيمنة» لتخضع للسيطرة الفرنسية والبريطانية بعد الحرب العالمية الأولى.



فرانسوا جورج-بيكو



مارك سايكس



خارطة الدول العربية التي أتفق عليها في مراسلات الحسين مكماهون ١٩١٥

العرب والغرب

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Arthur Balfour

خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، أصبحت الولايات العربية في إطار الامبراطورية العثمانية على نحو متزايد أكثر فعالية في مسعاها للاستقلال وشرعت في الخوض في لقاءات سرية في دمشق في عام ١٩١٤ ما بين ممثلين من سوريا، فلسطين، العراق والحجاز. وعند دخول الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، صيغت مبادرات و تشكلت وفود عربية من أجل كسب دعم الحكومتين البريطانية والفرنسية والدخول في تحالف ضد العثمانيين. وقد جاء ذلك بتوافق كامل مع بحث بريطانيا وفرنسا عن حلفاء من شأنهم مساعدتهما في تحقيق نصر سريع ضد الإمبراطورية العثمانية وضمان مصالحهما الحيوية في المنطقة العربية.

دخل البريطانيون في «تحالف» مع العرب وذلك في تعهد لدعم دولة عربية مستقلة، بقيادة الشريف الحسين بن علي للشعب العربي الساعي للاستقلال من الإمبراطورية العثمانية في مقابل انضمام العرب إلى القوات البريطانية في الحرب على العثمانيين. ثارت القوات العربية غير المنظمة في الحجاز على الولاة العثمانيين وقاموا بمسيرات باتجاه الشمال بتعاون وثيق مع القوات البريطانية المتقدمة نحو فلسطين من مصر. ومن خلال مضايقة قوافل الإمدادات العثمانية وتخريب سكك قطاراتهم الحديدية وتوفير المعلومات الاستخبارية للجيش البريطاني، وساعدت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل في تقدم الجيش البريطاني نحو مدينة القدس في تشرين أول (أكتوبر) ١٩١٧. كما ساهم وصول القوات العربية إلى العقبة في هزيمة مركزية للقوات التركية ومعركة حاسمة وبداية الاحتلال البريطاني لفلسطين. ولدى وصول الجنرال آدموند أللنبي (قائد الجيش البريطاني) إلى القدس، دعا وجهاء المدينة ورجال الدين ليعلم أمامهم عن فرض القانون الحربي البريطاني على فلسطين. فأصبحت الولاية «الحررة» من الحكم العثماني الآن تحت رحمة سياسات واحتلال الحكومة البريطانية.

وفي هذه الأثناء، في ٢ تشرين ثاني (أكتوبر) من عام ١٩١٧، بعث وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور برسالة إلى اللورد روتشيلد عبّر فيها عن «تعاطف» الحكومة البريطانية «مع الطموحات اليهودية الصهيونية» ودعمها في «إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين». وقد تضمن « وعد بلفور» في نفس الوقت انه يعترف كذلك بالحقوق العربية بقوله «لن يحصل أمر قد يجحف بالحقوق المدنية والدينية للمجموعات السكانية غير اليهودية في فلسطين».

نظرا لتأثره بأفكار ومواقف الكولونيل البريطاني توماس ادورد لورنس، تعامل الأمير فيصل بثقة واطمئنان مع التطمينات البريطانية التي سجلها المندوب السامي البريطاني في القاهرة السير هنري مكماهون في رسائله لوالده الشريف الحسين في مكة. وعند لقائه بالجنرال أللنبي في دمشق في تشرين أول (أكتوبر) ١٩١٨، صدم الأمير فيصل ورفاقه بسماعه عن اتفاق سايكس-بيكو والذي تكتّم عليه الكولونيل لورنس.



آرثر بلفور



الجنرال اللنبي يعلن الأحكام العرفية في فلسطين



الكولونيل توماس إدوارد لورنس

العربية تحفظه وشرطه على هذا الاتفاق بقوله «إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه في تقريرنا المؤرخ ٤ كانون ثاني (يناير) ١٩١٩. فإنني موافق على ما ذكر بباطن هذه المواد وان حصل ادنى تغيير او تبديل فلا أكون ملزماً بأي كلمة كانت بل تعد هذه المقولة كل شيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطلب بأي صورة كانت»^٤ وفي مداوالات مؤتمر الصلح في باريس (فرساي)

أعرب الوفد العربي عن مخاوفه من اطماع ومطالب الحركة الصهيونية بدءاً بطلب وصاية بريطانيا على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور وفتح باب الهجرة. وعرض عوني عبد الهادي وكان يومها مدير مكتب الوفد الحجازي لمؤتمر الصلح وأحد الشخصيات الوطنية الفلسطينية ان «ما يريد العرب بالفعل. هو ان تكون سوريا دولة مستقلة تحت حكم عربي. وان الأجندة السياسية للعرب هي حيث يمكن فيها توحيد فلسطين وسوريا والعراق في كونفدرالية مستقلة. وتمنح كافة الحقوق والحريات لليهود في فلسطين على قدم المساواة مع العرب. وجاء رد الحركة الصهيونية انه «من غير الممكن اخذ هذه الاجندة بالحسبان» كما شككت الحركة فيما اذا كان عوني عبد الهادي يقدم أفكاره الشخصية او تلك الموافق عليها من الأمير فيصل.

و الحقيقة أن عوني عبد الهادي كان يعبر عن عرائض من وجهاء ومخاتير

نابلس وجنين والناصره والمؤرخة في ٢٣ و ٢٧ شباط - فبراير - ١٩١٩ واحتجاجاتنا الشديدة على كل موافقة أو معاملة أو عقد أو وعد يخول اليهود المتفرقين في سائر أنحاء الأرض والذين ليس لهم أدنى شأن ولا قول ولا حق في بلادنا من حق السكن ومن حق الهجرة وحق الوطني في بلادنا «المواطنة» وان رغباتنا وأمانينا وهي عدم فصل قطعنا العربية عن سوريا بوجه من الوجوه لانها جزء منها والتمتع باستقلال عربي ووحدة عربية^٥



عوني عبد الهادي



الجنرال ادومند اللني مع الأمير فيصل في دمشق

هذا وقد تبين التناقض فيما بين «الوعود» التي قطعها البريطانيون على انفسهم ومع الاطراف الثلاثة: العرب فرنسا والحركة الصهيونية. وكانوا مجبرين على تخديد أولويات وعودهم بحسب القيمة الاستراتيجية في سياق الحرب العالمية الأولى. وفي الوقت الذي حافظوا فيه على دعمهم للمطلب العربي في الاستقلال. تغيرت سياساتهم باتجاه رعاية خالفهم مع الصهاينة.

وثيقة فيصل - وايزمن



الأمير فيصل بن الحسين

هيأت السلطات البريطانية عقد لقاءات بين بعض قادة الحركة العربية والحركة الصهيونية لتوفير مناخ من «التعاون» العربي - اليهودي ما بعد الحرب العالمية الأولى لتحقيق أهدافها. فعقد لقائين بين الامير فيصل وحايبم وايزمن بواسطة الكولونيل لورنس. الأول في معسكر الأمير فيصل في الغويهر بين العقبة ومعان في ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٨ والثاني في لندن في ٣ كانون الثاني (يناير)

١٩١٩. والذي تضمن توقيع مشروع اتفاق باللغة الانجليزية (لا يعرفها الامير فيصل) يشتمل على تسع مواد اهمها اثنتين: «تؤخذ جميع التدابير وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح

الحكومة البريطانية الصادر في ٢ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩١٧ (وعد بلفور) حين وضع دستور حكومة فلسطين ونظامها الإداري» مع أن «تتخذ كل التدابير لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين»^٦ وقد فوجيء واستهجن الوفد العربي المرافق للامير فيصل. ذهابه منفرداً وبرعاية الكولونيل لورنس لحضور هذا اللقاء و «توقيعه» على اتفاق بهذه النصوص.

الا ان الامير «دافع عن موقفه» بانه سجل بخط يده باللغة



حايبم وايزمن

نقاط الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون ال ١٤



الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون

عرض الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون في كانون ثاني (يناير) ١٩١٨، نقاطه الأربع عشرة كإطار مبادئ لعصر ما بعد الحرب العالمية الأولى. عصر العدالة والسلام. وبالرغم من منح الرئيس الأمريكي جائزة نوبل للسلام لنشره «ثقافة السلام» إلا أن أطماع وطموحات القوى المنتصرة في الحرب، تجاوزت وأهملت هذه المبادئ، وهي تقسيم خارطة ما بعد الحرب، ومن أهم هذه المبادئ:

البند الخامس: «تسوية حره

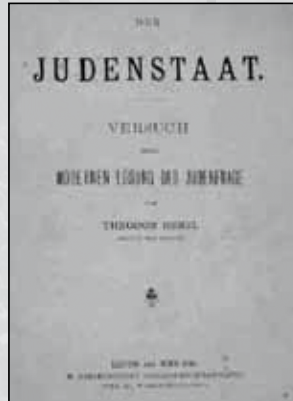
ومفتحة العقل وخالية مطلقاً من التمييز لكل المطالب الاستعمارية مبنية على مراعاة المبدأ القائل بأن الحكم في جميع مسائل السيادة يجب أن يضع في الاعتبار مصالح الشعوب بنفس درجة المطالب العادلة للحكومات التي سيقدر مصيرها.»

البند الثاني عشر: «ضمان السيادة الآمنة للمناطق التركية من الإمبراطورية العثمانية، ولكن يجب تأمين حياة الجنسيات الأخرى الواقعة تحت الحكم التركي أماناً أكيداً، كما يجب أن توفر لهم فرصة لا يعيقها عائق للتطور الذاتي...»^①

وأضاف الرئيس ويلسون في خطابه في ٤ تموز (يوليو) ١٩١٨، وضع المبدأ التالي كواحد من الأهداف الأربعة الرئيسية التي يحارب الحلفاء من أجلها وهو: «أن حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالأرض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً، لا على المصالح المادية أو لفائدة أية دولة أو أمة أخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي أو لسيادتها.»

تصاعد التهديد الصهيوني

قامت الحركة الصهيونية السياسية في النصف الثاني من القرن ١٩ على أساس عنصري مضمونه أن اليهودية ليست مجرد ديانة وإنما حركة علمانية، وأن اليهود يشكلون عنصراً متميزاً بجنسه وثقافته وتاريخه، وبناءً عليه، فهم يشكلون شعباً له الحق في إقامة دولة، وأن الحل الوحيد «للمسألة اليهودية» هو في إقامة دولة ذات صفة قومية، تميزاً لها عن الصهيونية الدينية



دولة اليهود

أو الثقافية أو العملية. وقد عبت هذه المدارس الصهيونية الفكرية المتعددة الطريق أمام ثيودور هرتسل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) لينشر كتابه «دولة اليهود Der Judenstaat» وفيه برنامج هرتسل: «ليعط لنا السيادة على رقعة من الأرض تف بحاجتنا القومية، ونحن نتكفل بما تبقى... والخطة التي هي بسيطة في صورتها وإن كانت معقدة في التنفيذ ستتولى تنفيذها هيتان: جمعية اليهود والشركة اليهودية، فالخططات العملية التي تصفها جمعية اليهود والسياسات التي ترسمها يتم تكليف أمر تنفيذها إلى الشركة اليهودية.»



ثيودور هرتسل

هذا وقد اجتمع حوالي (٢٠٤) شخصية يهودية تمثيلية لجاليات اليهود في العالم في بازل بسويسرا في ٢٩ آب (أغسطس) ١٨٩٧ فيما عرف بمؤتمر بازل، واتفقوا على إستراتيجية تطبيقية للمشروع الصهيوني: «أن هدف الصهيونية هو إنشاء وطن لليهود في فلسطين، يضمنه القانون العام.» وتبنى المؤتمر برنامجاً من أربع نقاط:

- ١- تشجيع استيطان العمال المزارعين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقاً لخطوط مناسبة.
- ٢- تنظيم اليهود وربطهم جميعاً بواسطة مؤسسات عامه على الصعيدين المحلي والعالمي.
- ٣- تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي.
- ٤- اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات المعنية حيث يكون ذلك ضرورياً لتحقيق هذه الصهيونية.

ان اعلان قيام دولة إسرائيل في شهر أيار (مايو) ١٩٤٨ وما صاحب هذا الحدث من نكبة فلسطينية، يعتبر حصيله جهود ونشاطات تراكمية امتدت على مدار خمسة عقود من اجل اقامة «كيان قومي لليهود في فلسطين».

تضمنت هذه الجهود، حملات دبلوماسية دولية متواصلة ومعتمدة على فلسفة المصالح المتبادلة، بالإضافة إلى حركات استيطانية كولونيلية مكثفة، وتشجيع هائل للهجرة إلى فلسطين، بالإضافة إلى المعونات المالية السخية، ونشر ثقافة الأدبيات اليهودية وإحياء اللغة العبرية، ثم تعاون وتنسيق وتقديم خدمات بريطانية من خلال مؤسسات الانتداب البريطانية وخاصة الجيش البريطاني، وأخيراً تشكيل وجّه قوّة عسكرية يهودية، لقد أجزت الحركة الصهيونية جزءاً كبيراً من برنامجها وخطتها مع دخول قوات الجنرال آدموند اللنبي إلى القدس في كانون ثاني (يناير) ١٩١٧، عندما أصبحت فلسطين خاضعة لسيطرة أولئك «المهتدين الجدد» إلى الصهيونية في بريطانيا ومؤسساتها بدءاً بقوات الاحتلال العسكري البريطاني حتى نهاية سنوات الانتداب البريطاني على فلسطين. لقد وضعت

الحركة الصهيونية في اعلى سلم أولوياتها تجنيد اليهود من أصحاب الثروات في مواقع قيادة المنظمة الصهيونية العالمية. وليس من قبيل الصدفة أن يصدر في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧، «اعلان بلفور» الذي يأتي مكملاً لبرنامج ثيودور هرتسل حيث سجل بلفور وزير خارجية بريطانيا، رسالته التي تتعهد فيها بريطانيا بضمان تحقيق «وطن قومي يهودي» في فلسطين. حيث جاءت الرسالة في صيغة «تعهد» الى والتر روتشيلد، سليل العائلة اليهودية التي بدأت في إقامة ورعاية المستعمرات الكولونيلية الصهيونية الاولى في فلسطين. والتي كانت أيضاً هدف المسودة الأولى في كتاب هرتزل، دولة اليهودي «قبل عشرين عاماً»!



المؤتمر الصهيوني الأول في بازل - سويسرا ١٨٩٧

الهجرة اليهودية والاستعمار

دخل الى فلسطين سنوياً ما معدله الفين الى ثلاثة الآلاف مهاجر يهودي خلال الفترة الممتدة من العام ١٨٨٢ وحتى بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤. ما رفع مجموع السكان اليهود من سنتين الفاً الى ثلاثة وستين الفاً نسمة، لقد أثر معظم هؤلاء المهاجرين الى مغادرة بلادهم امام تصاعد التمييز ضدهم.

وبالرغم من ان معظمهم لم يكن ينتمي الى «إيديولوجية سياسية» الا انهم ساهموا في تشكيل المستعمرات الصهيونية الاولى في القدس وحيفا والخليل. لقد حظيت إقامة المستعمرات الصهيونية الاولى على دعم مالي سخّي من المليونير الفرنسي بارون ادموند دي روتشيلد، والذي منح المشاريع الزراعية دعماً لوجستياً لاستمرارها وبقائها. وقد حوّل روتشيلد هذه المزارع الى إشراف جمعية الاستعمار اليهودي والتي بلغت حوالي (٢٢) مستعمرة زراعية مع بدايات القرن التاسع عشر الماضي.

وجاءت الموجة الثانية من الهجرة اليهودية الى فلسطين ما بين الأعوام ١٩٠٥ و ١٩١٤ مع توجه الحركة الصهيونية الى الاستيلاء على الأرض وتشكيل التركيبة السكانية اليهودية فيها، حيث أقامت «الكيبوتسات» وسيست علاقاتها مع السكان اليهود والعرب على حد سواء، وفيما بعد، كانت «النواة» لتشكيل القيادة السياسية الصهيونية في فلسطين.

لقد عملت مؤسسات الحركة الصهيونية، وخاصة جمعية الاستعمار اليهودي وفيما بعد الوكالة اليهودية على تجاوز الأنظمة العثمانية وقيودها الحصرية في عمليات بيع الأراضي، فعمل وسطاءها ومثليها، ومن خلال الرشاوي، على إنفاق مبالغ طائلة في مساعهم للاستيلاء على الأراضي.

كان من ابرز الشخصيات اليهودية في قيادة «حملة الاستيلاء على الأراضي» يهوشع خانكن، رئيس جمعية الاستعمار اليهودي (JCA)



يهوشع خانكن

في فلسطين، لقد اشتهر بأسلوبه المميز في عرض «صفقات إقراض مالية» ضخمة لملاك الأراضي، وبعد سنوات من عجزهم عن تسديد القروض، يتم «الاستيلاء» على الأراضي استيفاءً للديون، اما عن صفقات «بيع الأراضي» فشهدت تلك الفترة ما نسبته ١٠٪ من مجموع الأراضي التي بيعت بإرادة أصحابها واستولت عليها مؤسسات الحركة الصهيونية، علماً بأن صفقات

بيع الأراضي من قبل ملاك اترك وعرب يعيشون خارج فلسطين، شكلت نصف الأراضي التي حصلت عليها الحركة الصهيونية. ولا بد من الإشارة هنا، الى ان عدد الكيبوتسات -

المزارع التعاونية الريفية - التي كانت تحت إشراف وإدارة جمعية الاستعمال اليهودي بلغت حوالي مستعمرة، (٤٧) يعمل فيها حوالي (١١) احد عشر الف مهاجر يهودي، الأمر الذي أحدث اضطراباً في زيادة إحداث العنف والاضطرابات بين المهاجرين الجدد والمواطنين الفلسطينيين.



أوائل المستعمرات اليهودية في فلسطين حتى ١٩١٤

الفلسطينيون وبدايات الحراك السياسي لمجابهة التحديات والدفاع عن الحقوق

التيار الأول: كان التيار الوطني العام ومثله اللجنة التنفيذية المنتخبة من المؤتمرات الفلسطينية المتعاقبة (١٩٢٠-١٩٢٨). ويرأسها موسى كاظم الحسيني بالإضافة الى المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني ويتبعه كافة مؤسسات الأوقاف الإسلامية ورجالها. والتيار الثاني. كان التيار العملي الذي تبلور بتشكيل الحزب الوطني العربي (١٩٢٣) برئاسة سليمان التاجي الفاروقي ويدعمه منافسوا آل الحسيني والمؤسسات التي يديرونها وعبرت «مرأة الشرق» ومحررها بولس شحاده عن توجهات الحزب. والتيار الثالث. ظهر بتشكيل حزب الأهالي (١٩٢٣) لتمثيل فئات كبار التجار والاقتصاديين في نابلس للتعبير عن المصالح الاقتصادية والتنسيق بين مواقف الاحزاب والتيارات المختلفة. وتناوب على رئاسته كبار الملوك!

وشرع هربت صموئيل (المنذوب السامي) في تعبيد الطريق لتحقيق الاهداف الصهيونية فعين أحد المحامين الصهاينة نورمان بنتوتيش نائبا عاما وترك له اعداد القوانين والانظمة. وجعل نسبة اليهود أربعة اضعاف العرب في الدوائر الحكومية. وعين مدراء التجاره والهجرة والجوازات من اليهود. واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب العربية والانجليزية. ومنح اليهود الاستقلال في إدارة مدارسهم ومعاهدهم في حين كانت المدارس والمعارف العربية تحت الإدارة البريطانية وفتحت ابواب الهجرة لليهود.

«وأعلن موسى كاظم الحسيني الاعتذار عن قبول ما عرض من انشاء وكالة عربية لا ترضي امانى الشعب العربي وان العرب لم يعترفوا قط بمركز الوكالة اليهودية ولا يرغبون في انشاء وكالة عربية على القاعده نفسها.»

وفي اعقاب وفاة موسى كاظم الحسيني عام ١٩٣٤ انقسمت اللجنة التنفيذية والعربية الى احزاب مختلفة. ثم توافقت فيما بينها على تشكيل «اللجنة العربية العليا» لقيادة الاضراب العام وثورة ١٩٣٦. وقرر المنذوب السامي البريطاني اعتبار «اللجنة العربية العليا» خارجة عن القانون عام ١٩٣٧. واعتقل العديد من اعضائها وتم نفيهم الى جزيرة سيشل الامر الذي شكل ضربة قاسمة للقيادة الفلسطينية والحركة الوطنية.



اللجنة العربية العليا عام ١٩٣٦ وتغيب عنها الأمين العام عوني عبد الهادي بسبب اعتقاله لدوره في أحداث الثورة الكبرى



عارف الدجاني

القدس برئاسة عارف باشا الدجاني من أوائل الجمعيات التي وجهت في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ مذكرة الى الحاكم العسكري ضد الوطن القومي اليهودي والهجرة اليهودية. كما تأسس في القدس. النادي العربي والمنتدى الأدبي في العام ١٩١٨:

الأول كامتداد للنادي العربي في دمشق في عهد حكومة الأمير فيصل وهدفه الوحدة مع سوريا ومكافحة الصهيونية. وبرز فيه الحاج أمين الحسيني وعبد القادر المظفر.

والثاني كامتداد للمنتدى الأدبي في الاستانة في تركيا وشعاره «بإسم العرب نحيا وبإسم العرب نموت». ومن أعضائه فخري النشاشيبي وحسن صدقي الدجاني.

وعلى صعيد العمل الوطني اشتركت الجمعيات الاسلامية المسيحية والنادي العربي والمنتدى الأدبي في المناسبات الوطنية والبيانات السياسية واهمها التحذير من بيع الأراضي: «كل من يفكر ببيع ارضه يكون قد ارتكب جرماً كبيراً نحو أجداده واحفاده ووضع نقطة عار سوداء في صفحة تاريخ

حياته. وأجرم لوطنه جريمة عظمى لا تغتفر».

وشهدت الساحة الفلسطينية ثلاثة تيارات سياسية مع محاولة صهيونية لاختراقها.



موسى كاظم الحسيني



الحاج أمين الحسيني

المؤتمرات الفلسطينية

وعقد **المؤتمر السادس** في يافا ١٦-٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٣ وقرر إرسال وفد فلسطيني ثاني الى لندن الا ان الحكومة البريطانية تمسكت بالتزاماتها وتعهداتها للحركة الصهيونية وبالانتداب. فعاد الوفد دون تحقيق نتائج تذكر. ثم أرسل وفد ثالث الى مؤتمر لوزان (١٩٢٣) حيث قام بنشاط سياسي - اعلامي ودعا الى «حل عادل لفلسطين يتفق مع العهود المقطوعة للعرب».

عقد **المؤتمر السابع** في القدس في عام ١٩٢٨. بتشكيل حكومة برلمانية في مناخ سياسي مأزوم بالصراعات الشخصية والعائلية الحزبية. ولإرضاء هذه الكتل والأسر والأشخاص. انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية موسعة من ٤٨ عضوا برئاسة موسى كاظم الحسيني حتى وفاته في عام ١٩٣٤.



وفد النساء الفلسطينيات لدى لقائهم بالمدوب السامي البريطاني لورد شانسيلور في القدس

عادت تلك المؤتمرات بمنافع محدودة على القضية الفلسطينية. كما أبرزت مشاكل الانقسامات في صفوف الفلسطينيين. كان أبرزها الخلاف بين رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي والمفتي الحاج أمين الحسيني. فقد اختار فريق المعارضة بناء علاقات مع البريطانيين والوكالة اليهودية على أمل أن يؤدي ذلك الى تصالح او تسامح مع الحركة الصهيونية ممثلة في الوكالة اليهودية الى «حل سياسي»

يحافظ على الحقوق الفلسطينية. وفي الجانب الاساسي الآخر كان التيار الوطني العام ممثلاً في فريق «المجلسيين» و «الاستقلاليين» وآخرين بزعامة الحاج أمين الحسيني على النقيض التام مع فريق المعارضه الذي يمثله النشاشيبي. وكان التيار العام يمثل صوت المقاومة للاحتلال البريطاني وسياساته الصهيونية وقد قاد الإضراب العام في عام ١٩٣٦ والذي استمر إلى أكثر من ستة أشهر في بداية الثورة الفلسطينية الكبرى.

عبرت المؤتمرات الوطنية الفلسطينية السبعة عن الطموحات القومية منذ العام ١٩١٩ ولغاية ١٩٢٨. عقد المؤتمر السوري العام في دمشق ٣ تموز (يوليو) ١٩١٩. بحضور فلسطيني كبير واعتبرته الحركة الوطنية **مؤتمرها الاول**. وتبنت قراراته كقاعدة للسياسة الفلسطينية في مواجهة المشروع الصهيوني والاحتلال البريطاني. والتمسك بالاستقلال والوحده: «سوريا الجنوبية (فلسطين) قطعة ممتدة لسوريا. ورفض الهجرة الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسي ورفض جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود».

أما **المؤتمر الثاني** والذي عقد في القدس في ايار (مايو) ١٩٢٠ فكان للاحتجاج على المصادقة الدولية على الانتداب البريطاني. الأمر الذي أدى الى منع انعقاده من قبل السلطات البريطانية. وعقد **المؤتمر الثالث** في حيفا ١٣ كانون اول (ديسمبر) ١٩٢٠ برئاسة موسى كاظم الحسيني لوضع إستراتيجية مرحلة ما بعد تقسيم بلاد الشام وانهاء حكومة الأمير فيصل في دمشق. فأعلن المؤتمر ان «حكومة الانتداب غير شرعية لأنها تمارس سلطة التشريع دون مجلس تشريعي واعترض المؤتمر على اعتراف حكومة الانتداب بالمنظمة الصهيونية واعتبار اللغة العبرية لغة رسمية وفتح باب الهجرة الصهيونية وطالب باقامة حكومة تمثيلية.

وعقد **المؤتمر الرابع** في القدس حزيران (يونيو) ١٩٢١ لبحث دستور فلسطين وقرر ارسال وفد الى لندن ثم جنيف لحضور اجتماع عصبة الامم والتقى الوفد مع وزير المستعمرات ونستون تشرشل الذي اعتبرهم «وفد غير رسمي. وما داموا يصرون على إلغاء وعد بلفور فليس لديه ما يمكن بحثه معهم وعلى العرب القبول به كحقيقة». والتقى الوفد مع قداسة البابا الذي أبدى تعاطفه مع الشعب الفلسطيني.

وعقد **المؤتمر الخامس** في نابلس ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٢٢ الذي رفض الدستور الذي أعلنه المدوب السامي وقرر مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي وأعلن ميثاقاً وطنياً «للسعي في سبيل استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية» ولا نرض بالوطن القومي اليهودي والهجرة اليهودية... ودعا المؤتمر الى إقامة تعاون أوثق بين فلسطين والبلاد العربية ومقاطعة اليهود في البيع والشراء وقرر إصدار طوابع وطنية وتأسيس مكتب عربي للإعلام في لندن.



المؤتمر الفلسطيني السابع في القدس ١٩٢٨

تحول البريطانيين باتجاه الحركة الصهيونية



زئيف جابوتنسكي

«من شأن الاستعمار الصهيوني التقدم والتطور فقط تحت حماية قوة تكون مستقلة عن السكان الأصليين- وخلف جدار حديدي لا يمكن للسكان الأصليين اختراقه. ما هي الحاجة بالتالي لإعلان بلفور؟ أو للانتداب؟ قيمتهما بالنسبة لنا تتمثل بتعهد قوة خارجية بخلق مثل هذه الظروف الإدارية والأمنية في البلاد. حيث تصبح خلالها رغبة السكان الأصليين في عرقلة

عملنا أمراً مستحيلًا. جميعنا نطالب بأن تنفذ هذه القوة الخارجية هذه المهمة بقوة وبإصرار.»^١ بتلك الكلمات عبر القيادي الصهيوني زئيف جابوتنسكي عن الإستراتيجية الصهيونية ككل، والتي لم تتغير منذ عهد هرتسل.



آرثر بلفور مع حاييم وايزمن

في السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى، عرف الكيميائي الروسي حاييم وايزمن في الدوائر السياسية البريطانية من خلال مساعدته مقر الأدميرال البريطاني في زيادة إنتاجه من المتفجرات في الجهود الحربي. من هنا تمكن من إنشاء علاقات مع اللورد آرثر بلفور، اللورد الأول لمقر الأدميرال والذي سيظل اسمه مرتبطاً بالتخطيط المزدوج والأجندة الصهيونية التي صقلت السياسة البريطانية. تطرق بلفور في وقت لاحق إلى وايزمن بقوله «إنه الرجل الذي جعلني صهيونياً»^٢. يمكن رؤية مدى هذا الالتزام تجاه الصهيونية في رسالة اللورد كورزون عام ١٩١٩: «نحن لا نقترح شيئاً جديداً في فلسطين حتى أن ننبع صيغة تأخذ بالحسبان أمانى السكان الحاليين للبلاد... إن الدول الأربع العظمى ملتزمة تجاه الصهيونية. كان ذلك صواباً أم خطأ، متجذرة في تقاليد قديمة، في احتياجات آنية وفي آمال مستقبلية وهي غاية في الأهمية أكثر من رغبات ٧,٠٠٠,٠٠٠ عربي أو الإجحاف بمن يقطنون حالياً في هذه الأرض القديمة.»^٣

سنوات الانتداب البريطاني

في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تولى إدارة الحكم العسكري في فلسطين، قيادة الجنرال آدموند اللبني «لإدارة أرض العدو المحتلة» وعين الكولونيل رونالد ستورس ١٩١٧ وحتى ١٩٢٠ حاكماً عسكرياً للقدس. وتعاقد على الحكم العسكري في فلسطين عدة جنرالات كانوا على خلاف مع اللجنة الصهيونية التي طالبت بتشكيل كتائب عسكرية لدعم مشروعها الاستيطاني بالقوة المسلحة. فنقل الجنرال كلايتون إلى القاهرة ليتولى إدارة المكتب السياسي. ثم نُحى الجنرال موني ٥ نيسان (أبريل) ١٩١٧ تحت ضغط اللجنة الصهيونية بعد أن اصطدم مع تصرفات أعضاء اللجنة الصهيونية ثم عين الجنرال واطسون خلفاً لموني لكن جرى استبداله سريعاً في كان أول (ديسمبر) ١٩١٩ بالجنرال بولز الذي أنهت خدماته بتعيين هيربرت صموئيل في تموز (يوليو) ١٩٢٠ كأول مندوب سامي منهاياً عمل الإدارة العسكرية وبداية الإدارة المدنية.



أ- ان المستعمرات والاقطار التي قضت نتائج الحرب الاخيرة بخروجها من سيادة الدول التي كانت حكمها، والمأهولة بشعوب لا تزال غير قادرة على الوقوف منفردة في معترك الحياة الجديدة، يجب ان يطبق عليها المبدأ القائل: «ان خير هذه الشعوب وتقدمها وديعة مقدسة في عنق الحضارة، فيجب ان تدرج في هذا الميثاق الضمانات للقيام بحق هذه الودبعة»

ب- ان الطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عملياً هي ان يعهد في تدريب هذه الشعوب الى الامم الراقية التي تمكنها مواردها او خبراتها او موقعها الجغرافي من الاضطلاع بهذه المسؤولية احن من غيرها، وتكون هي مستعدة لقبول هذه المسؤولية، وان تكون ممارسة هذا التدريب بصفتها منتدبة عن عصابة الامم.

المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم التي بني عليها صك الانتداب البريطاني

وقرر مؤتمر الحلفاء في سان ريمو ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٢٠ وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني قبل ان يقر ذلك في عصبة الامم وقبل ان يتم التوصل الى معاهدة نهائية مع تركيا.

ظلت فلسطين خاضعة للسيطرة البريطانية لغاية العام ١٩٤٨، حيث تخلل هذه الفترة تقطيع أوصال البنية التحتية السياسية لفلسطين على نحو منهجي، وجرى إضعاف شعبها وأنيح لموجات من المهاجرين الصهاينة الاستيلاء على الأرض، والانتظام والتسلح. حاول الفلسطينيون طوال فترة الانتداب التفاوض مع البريطانيين لإقناعهم بضرورة الإيفاء بمسؤولياتهم تجاه السكان الأصليين في فلسطين. ومنذ عام ١٩١٧، وهم يحتجون على السياسات البريطانية الداعمة للصهيونية. وقام موسى كاظم الحسيني لاحقاً برئاسة اللجنة العربية التنفيذية ووفودها إلى العديد من المؤتمرات في لندن.



لقد أثبت أصدقاء أقوىاء في داخل المؤسسة البريطانية أنهم بالغي الأهمية في وضع أسس رعاية بريطانية نشطة للهدف الصهيوني.

فدعم سياسة رفيعي المستوى مثل هيرت سموئيل (الذي أصبح وليس صدفة المندوب السامي البريطاني الأول لفلسطين). وكل من مارك سايكس. ونستون تشرشل ولويد جورج قد حول السياسة البريطانية باتجاه الأجندة الصهيونية.



هيرت سموئيل



ونستون شرشل



لويد جورج

محطات في سنوات الانتداب البريطاني

١٩١٩: مطالبة وفد الحجاز في مؤتمر باريس للسلام ما بعد الحرب العالمية الأولى بحق تقرير المصير وتطبيق اتفاق الحسين -مكماهون. لكن بدون تحقيق نجاح في ذلك.

١٩١٩: لجنة كينغ كرين الأمريكية تزور فلسطين وتقرر أن الانتداب لن يكون الخيار الأفضل للمناطق العثمانية سابقا. جاء تقريرها متأخرا للغاية لإحباط قرارات مؤتمر باريس للسلام.

١٩٢٠: الوفد الفلسطيني الأول يسافر إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني لشرح القضية الفلسطينية ومعارضة وعد بلفور.

مراحل الانتداب

كان تعيين المندوب السامي الأول لفلسطين مثيرا للجدل وجعل من النوايا البريطانية في الانتداب المقبل واضحة: كان السير هيرت سموئيل يهودياً وصهيونياً متحمساً حيث لعب دوراً مركزياً في صياغة السياسة البريطانية تجاه فلسطين والمعبر عنها في وعد بلفور. وقوبل تعيينه بالفزع من جانب الفلسطينيين وبالفرح من جانب الصهاينة. وذهبت سياساته بعيداً في وضع أسس عملية لإستيلاء اليهود على فلسطين. في حين منع عن الفلسطينيين أي مشاركة فعلية في السلطة الإدارية. لقد اتاح سموئيل لليهود بناء مؤسسات وحتى منحهم الحق في جمع الضرائب. تعييناته لعدد من أفراد عائلة النشاشيبي وعائلة الحسيني في مناصب قريبة منه قد أضعفت المقاومة السياسية الفلسطينية للصهيونية. كما أن إدارته للأرض شكلت سابقة قانونية نقلتها بعد العام ١٩٤٨ لنظام الحكومة الإسرائيلية. اتسمت فترة سلطته كمندوب سامي. والتي سمح خلالها بمضاعفة المجموعة السكانية اليهودية. بسياسات معادية للفلسطينيين تخللها إغلاق مؤسسات فلسطينية وحظر رفع الأعلام الفلسطينية. هذه السياسات تنقل وتنفذ بحذافيرها من قبل الحكومات الإسرائيلية منذ الاحتلال الإسرائيلي لبقيّة فلسطين عام ١٩٦٧.



الوفد الفلسطيني الأول ١٩٢٠



الوفد الفلسطيني والعربي - مؤتمر سان جيمس



الوفد الصهيوني وزعماء يهود العالم - مؤتمر سان جيمس

١٩٢١: عقد مؤتمر القاهرة بدعوة من وزير الحربية ونستون تشرشل لتحديد مستقبل الولايات العثمانية السابقة والتي احتلت خلال الحرب العالمية الأولى.

١٩٢١: لجنة هايكرافت لتقصي الحقائق تجري تحقيق في اضطرابات يافا وتضع المسؤولية على العرب. مستنتجة بأنهم ساهموا في نشر «ثقافة الخوف» من نتائج الهجرة اليهودية الواسعة.

١٩٢٢: كتاب تشرشل الأبيض يؤكد الموقف البريطاني الوارد في إعلان بلفور ويعتبر مراسلات الحسين-مكماهون لا تنطبق على فلسطين.

١٩٣٠: لجنة شو ولجنة هوب-سمبسون تجريان تحقيقاً في اضطرابات عام ١٩٢٩ وأوصتا بتقييد الهجرة اليهودية وعمليات شراء الأرض.

١٩٣٠: كتاب باسفيلد الأبيض يطرح سياسة بريطانية جديدة مفادها وجوب وقف الهجرة اليهودية وعمليات شراء الأراضي. إلا أن توصياتها الغيت في «الكتاب الأسود» الذي بعث به رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد إلى حاييم وايزمن جأوباً مع المطالب والاحتجاجات اليهودية.



اللجنة الملكية برئاسة اللورد بيل

١٩٣٦/١٩٣٧: لجنة بيل تحقق في أسباب الثورة الفلسطينية ضد الحركة الصهيونية والسياسة البريطانية. وتوصي بمشروع لتقسيم فلسطين للمرة الأولى بالإضافة الى فكرة «ترحيل السكان».

١٩٣٨: لجنة ووهديد تعرض استراتيجية لتطبيق خطة لجنة بيل للتقسيم.

١٩٣٩: فشل ممثلو الحكومات العربية والوفد الفلسطيني وممثلين عن الوكالة اليهودية ويهود أوروبا في الوصول إلى اتفاق في مؤتمر عقد في قلعة سانت جيمس في لندن وعرف باسمها «مؤتمر سان جيمس». وأعقبه الكتاب الأبيض لمكدونالد عام ١٩٣٩ والذي يدعو لاقامة دولة فلسطينية ويقيد الهجرة اليهودية وشراء الأراضي.

١٩٤٦: لجنة التحقيق الأجلو-أمريكية تزور فلسطين وتوصي باستمرار الانتداب البريطاني. بينما توصي لجنة موريسون-غرادي

باقامة دولة فدرالية ثنائية القومية. لم يحظ أي من الاقتراحين بالموافقة.

١٩٤٧: انعقاد مؤتمر آخر حول فلسطين في لندن في قلعة سانت جيمس لدراسة اقتراحات بريطانية لتقسيم فلسطين إلى ولايتين عربية ويهودية في اتحاد فدرالي تخضعان للمندوب السامي البريطاني.

١٩٤٧: تقرر الحكومة البريطانية نقل القضية الفلسطينية الى الأمم المتحدة. والتي بدورها تصدر القرار الأممي ١٨١ القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية. مع إبقاء القدس وبيت لحم في كيان منفصل خاضع للسيطرة الدولية.



الثورات الفلسطينية

١٩٢٠: عكست الاضطرابات في حي النبي صموئيل في القدس درجة الإحباط العربي من جراء فشل المجتمع الدولي في احترام وعوده في تمكين العرب من الاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. ونتيجة لهذه الاضطرابات. أقيمت موسى كاظم الحسيني من منصبه كرئيس لبلدية القدس من قبل المندوب السامي البريطاني هيربرت صموئيل. وتم تعيين راغب النشاشيبي الذي قبل «المنصب».

١٩٢١: تحوّل احتجاجات عربية مناهضة للهجرة في يافا إلى مواجهات مع اليهود. مما دفع الإدارة البريطانية فرض حالة الطوارئ في البلاد.

١٩٢٩: خروقات صهيونية للنظام المتبع كسلوك أثناء العبادة عند حائط البراق (الغربي) أدت إلى استفزاز الفلسطينيين. فاندلعت مظاهرات ومواجهات في القدس وانتشرت سريعاً في أرجاء البلاد. وعند هدوء الاضطرابات أرسلت لجان التحقيق الملكية البريطانية والتي أصدرت توصيات لوقف الهجرة اليهودية.

في الثلاثينيات: نظراً لعبثية الدبلوماسية والنداءات الموجهة للسلطات البريطانية. تشكلت مجموعات فلسطينية مسلحة



مظاهرة في القدس عام ١٩٢٠

مثل مجموعة «الكف الأسود» التي تصدت للمستوطنين الصهاينة. وقد برزت قيادة الشيخ عز الدين القسام من خلال جهوده ومجموعاته في أعمال المقاومة ضد القوات البريطانية والمستعمرات الصهيونية. وأصبح بعد وفاته في معركة مسلحة عام ١٩٣٥ «البطل» الأول للحركة الوطنية الفلسطينية ومصدر إلهام لأجيال فلسطينية.

١٩٣٦: اندلاع «الثورة الفلسطينية الكبرى». وإضراب عام للمطالبة بوضع حد للهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود. وإقامة حكومة وطنية عربية. ورفضت اللجان الشعبية دفع الضرائب حتى تلبية المطالب الوطنية «لا ضرائب بدون تمثيل». وأعلن المندوب السامي عن «اللجنة» العربية العليا كمنظمة غير قانونية. استأنفت الاضطرابات عام ١٩٣٧ في أعقاب تقرير لجنة بيل التي أوصت «بتقسيم فلسطين». وقامت سلطات الانتداب باعتقال وإبعاد أعضاء بارزين في اللجنة العربية العليا وجردت الحاج أمين الحسيني من مناصبه كرئيس للأوقاف ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى. وتراجعت أعمال الثورة في عام ١٩٣٩ مع إصدار الحكومة البريطانية «الكتاب الأبيض» ١٩٣٩.



الشيخ عز الدين القسام



فلسطينيون في ثورة عام ١٩٣٦

والذي جاء فيه:

«ليس من سياسة الحكومة البريطانية أن تصبح فلسطين دولة يهودية» وأنها في الوقت ذاته «لا تستطيع أن توافق على أن مراسلات مكماهون تشكل أساساً عادلاً للدعاء بوجود تحويل فلسطيني إلى دولة عربية مستقلة».

ولذا فإن الهدف الذي ترمي إليه حكومة جلالته هو أن تشكل - خلال عشر سنوات - حكومة فلسطينية مستقلة. ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين مصالحهما التجارية والحربية في المستقبل ضماناً مرضياً؛ هذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه أن ينطوي على التشاور مع مجلس عصبة الأمم يساهم العرب واليهود في حكومتها. على وجه يضمن صيانة المصالح الأساسية لكل من الفريقين»... وقررت الحكومة البريطانية السماح بدخول (٧٥ ألف) مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس القادمة اعتباراً من الأول من نيسان (أبريل) ١٩٣٩. أما بشأن الأراضي. فإن الحكومة البريطانية ستمنح «المندوب السامي سلطات عامه تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي»

رفضت الحركة الصهيونية رفضاً تاماً الكتاب الأبيض في حين أعلن «المكتب العربي» في لندن أن الكتاب الأبيض هو حل وسط. ومحاولة جديدة لتعيين نقاط التوازن بين الفريقين (العرب واليهود)...



أحمد حلمي عبد الباقي

المقاومة المالية والاقتصادية

أقام الفلسطينيون خلال سنوات العشرينيات والثلاثينيات مؤسسات مالية لحماية الأرض الفلسطينية والاقتصاد. فتأسست المصارف الفلسطينية الأولى مثل بنك الزراعة الفلسطينية، بنك مصر- فلسطين (كلاهما في عام ١٩٢٨).

بنك صندوق الأمة والبنك العربي (كلاهما في عام ١٩٣١). بالإضافة إلى ذلك، تأسس الصندوق القومي العربي على يد الأمين المالي للجنة العربية العليا أحمد حلمي عبد الباقي بهدف شراء الأرض وحمايتها من استيلاء هيئات صهيونية عليها.



الوفد الفلسطيني إلى لندن ١٩٣٠

تعبئة الأجواء السياسية

مع ازدياد الاحتكاك بين الفلسطينيين والمهاجرين اليهود، بدأ كلا الطرفين ببناء قدرات دفاعية وهجومية للدفاع ومواجهة الطرف الآخر. وفي حين بذلت القوات الأمنية ما بوسعها لمنع تسليح الفلسطينيين وعرقلة تأسيس أية منظمة برلمانية عربية، في حين شجعت اليهود على التسليح والتنظيم وفي أحيان كثيرة تم تدريبهم ودعمهم لوجستيا من قبل السلطات البريطانية. ومن هذا التعامل الخاص والمميز خلال سنوات الانتداب البريطاني، تشكلت القوات الصهيونية في مواقع عسكرية وبقدرة قتالية كبيرة لم تتوفر لخصومهم الفلسطينيين. تطورت الهجانة من قوة حماية للدفاع عن الكيبوتسات إلى منظمة عسكرية فعالة خارجة عن القانون. ومع آلاف المجندين من المستوطنات حيث أصبح تقريبا كل الأفراد ذوي القدرات الجسمانية أعضاء فيها.

الأحزاب الفلسطينية الرئيسية



حزب الاستقلال أسسه عوني عبد الهادي ونخبة من أقطاب الحركة القومية العربية في فلسطين عام ١٩٣٢ كأول حزب سياسي فلسطيني تمثيلي منظم. ويعكس إحباط قوميين مثقفين من فشل الحركة القومية مواجهة الصهيونية وراعيها البريطانيين بشكل فعال. دعا هذا الحزب إلى إنهاء الانتداب ودعم الوحدة العربية واستقلال البلدان العربية، وانتقد التأثير الحاسم للعداوة ما بين فريق المجلسين برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني وفريق المعارضة بقيادة راغب النشاشيبي غير أن الحزب لم يجابهه أي من التيارين.



حزب الدفاع بقيادة راغب النشاشيبي قد تأسس عام ١٩٣٤ على أيدي عائلة النشاشيبي وأتباعها. عارض الهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود. غير أنه فضل التسوية السياسية والحوار مع البريطانيين والحركة الصهيونية. حافظ الحزب على علاقات وثيقة مع الأمير الملك عبد الله وكان الفريق الوحيد الذي قبل ووافق على خطة «التقسيم». وربط الدولة العربية بإمارة شرق الأردن.



حزب فلسطين العربي بقيادة جمال الحسيني قد تأسس بدعم من المفتي الحاج أمين الحسيني ومواليه في عام ١٩٣٥ وكان مقربا من العائلة السعودية. عارض إعلان بلفور، الانتداب البريطاني، الهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود. ودعا إلى استقلال فلسطين تام. جرى نفي العديد من قادته في أعقاب ثورة عام ١٩٣٦.



حزب الإصلاح بقيادة د. حسين فخري الخالدي قد تأسس عام ١٩٣٥. قبل الإقتراح البريطاني لإنشاء مجلس تشريعي كخطوة بإجاءه تأثير أكبر وانتهاء باستقلال فلسطين. غير أنه رفض اقتراح الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ والذي تنازل عن فكرة التقسيم ودعم دولة واحدة بتمثيل نسبي للعرب واليهود في فلسطين.



الكتلة الوطنية بقيادة عبد اللطيف صلاح وقد تأسس في عام ١٩٣٥. دعم الاستقلال السياسي لفلسطين غير أنه لم يكن قادرا على حشد التأييد الكافي فظل ضعيفا نظرا لسياساته المترددة ما بين التعاون والمقاومة تجاه البريطانيين.



قوات بريطانية تقوم بحملة تفتيش في القدس



اوردي وينغيت

نشطت المنظمة بتعاون وثيق مع القوات البريطانية. جرى تنظيم شرطة المستوطنات اليهودية. تدريبها وتزويدها بالعتاد من قبل البريطانيين، وتقدمت التحضيرات للقتال خطوة إضافية في تشكيل «فرق الليل الخاصة» العنيفة والهمجية على أيدي الجنرال أوردي وينغيت من الجيش البريطاني.

وخلال الحرب العالمية الثانية، أنشأ الجيش البريطاني مجموعة البلماح بمشاركة الهاجاناة من أجل إيجاد قوة محلية

متخصصة لمواجهة التهديد الألماني من مسرح الحرب الشمال الإفريقي. بتدريب عال، وتنظيم ناجع وتزويد جيد للمعدات من قبل البريطانيين، افرزت مجموعات البلماح فيما بعد العديد من قادة ما سمي فيما بعد جيش الدفاع الإسرائيلي.

في هذه الأثناء، مُنع الفلسطينيون من حمل السلاح، كما أن أية محاولة لتشكيل قوة عسكرية فلسطينية متماسكة أو نظاما سياسيا قد فككت على نحو منهجي. وفي أعقاب اعتبار اللجنة العربية العليا كخارجة عن القانون، هرب الحاج أمين الحسيني إلى لبنان حيث بقي هناك في المنفى. لقد كان لغياب القادة الفلسطينيين في المنفى حوالي عشرة سنوات

١٩٣٧-١٩٤٧ خاصة عند اندلاع المعارك بين الفلسطينيين والمنظمات الصهيونية المسلحة في الشهور التي سبقت التقسيم ضررا كبيرا في اتخاذ القرارات وتنفيذها في مجابهة الحركة الصهيونية والعصابات المسلحة كما أدى الى تراجع كبير في المعنويات الفلسطينية.

جذور في الإرهاب



ملصق شعار الارغون يطالب بفلسطين وشرق الاردن

شهدت حقبة الثلاثينيات إنشاء إرغون وليحي أو «عصابة شتيرن». وبدأت إرغون التي شكلت على إثر اضطرابات عام ١٩٢٩ كقوة صهيونية حامية تعمل ضد الفلسطينيين بشكل متوازي مع قوات الجيش البريطاني وشرعت في تنظيم هجرة يهودية غير قانونية واسعة النطاق إلى فلسطين. وفي أواخر الثلاثينيات، أخذت على عاتقها القيام بعمليات هجومية نشطة ضد السكان العرب، ومع نشر



المواطنون في أبو غوش يبايعون اللجنة العربية العليا

الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، حوّلت إرغون أنظارها سريعا إلى البنية التحتية البريطانية لتضلع في أعمال «ارهاب» من وقتل ضباط بريطانيين من الشرطة والجيش وتخريب المعسكرات البريطانية. وفي تشرين ثاني من عام ١٩٤٤، قام إرهابيون من عصابات ليحي



الوسيط الدولي كونت برنادوت والى جانبه تريغفلي
الامين العام للأمم المتحدة

ويتسحاق شامير، من قادة الأرغون وليحي على التوالي وإرهابيين
وفقا لأي تعريف. قد أصبحت فيما بعد رئيسا وزراء لإسرائيل.



ميناخيم بيغن ويتسحاق شامير

باغتيال اللورد البريطاني مويني في القاهرة بدعوى «مساهمته»
في إعادة صياغة سياسة بريطانيا في فلسطين وكإشارة إلى أن
أهداف الحركة الصهيونية قد تصل الى ما بعد حدود فلسطين.
وخلال عامين تصاعدت عمليات «الارهاب» وقامت بالعديد من
الهجمات القاتلة، ومنها تفجير هائل دمر مقر القوات البريطانية
في فندق الملك داوود في القدس.
ونتيجة لهذه الهجمات الإرهابية، اكتسبت العصابات الصهيونية
المسلحة سمعة في القيام بأعمال ارهاب همجية ضد السكان
العرب المدنيين. وتمثل مذبحة دير ياسين في التاسع من نيسان



فندق الملك داوود في القدس

عام ١٩٤٨ على أيدي قوة مشتركة من إرغون وعصابة شتيرن
المثال الأبرز لهمجية أسلوبهما، وتنبه العالم إلى ذلك في أيلول
١٩٤٨ عندما قتلت هذه العصابات (أعضاء ليحي) الوسيط
الدولي كونت برنادوت في سيارته بدم بارد.
جرى التنديد بهذه العصابات في مراحل مختلفة من جانب
المجتمع الدولي وبعض المثقفين اليهود، وكان كل من مناخيم بيغن

بدء عملية التقسيم

الأول وقد جرى تبنيه من قبل أغلبية الأعضاء الداعمين لفكرة «تقسيم فلسطين».

والثاني من قبل الأقلية التي أوصت بإنشاء دولة فدرالية واحدة. وفي ٢٩ من تشرين ثاني ١٩٤٧، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقرير الأغلبية وتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين عربية على (٤٢) بالمائة من الأراضي ويهودية على (٥١) بالمائة من الأراضي يرتبطان باخاد اقتصادي. أما القدس. ونظرا لأهميتها الثقافية والدينية، فقد تقرر لها كيانا خاصاً ومنفصلاً (Corpus Sepratium) ومنزوعة السلاح على مساحة اثنين بالمائة وتدار طبقاً لتوصيات مجلس الوصاية الدولي.

مقتطفات من قرار الأمم المتحدة ١٨١

«توصي الجمعية العامة للأمم المتحدة المملكة المتحدة، وبصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين، وجميع أعضاء الأمم المتحدة، فيما يخص حكومة فلسطين المستقبلية، بتبني



عبد الرحمن عزام والحاج أمين الحسيني

في شباط عام ١٩٤٧، قررت الحكومة البريطانية وبضغط من المجتمع الدولي وبتأثير مباشر من الحرب التي شنتها العصابات الصهيونية المسلحة، أن تسلم قضية فلسطين للأمم المتحدة. لقد قاطع الفلسطينيون «لجنة التوفيق الدولية» التابعة للأمم المتحدة والتي ستقرر مستقبل فلسطين، بدعوى أن فلسطين ما بعد الانتداب ليست بحاجة لتحقيق وأنه يتوجب اعتبارها فقط دولة عربية مستقلة، دون أن يكون للأمم المتحدة سلطة في أن تقرر في الأمر.

كما اعتقد الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا ان القدرات العسكرية العربية قادرة على هزيمة القوات اليهودية، وعلى العكس من هذا، رحبت الحركة الصهيونية بوفد «لجنة التوفيق الدولية».



أعضاء وفد «لجنة التوفيق الدولية»، الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين

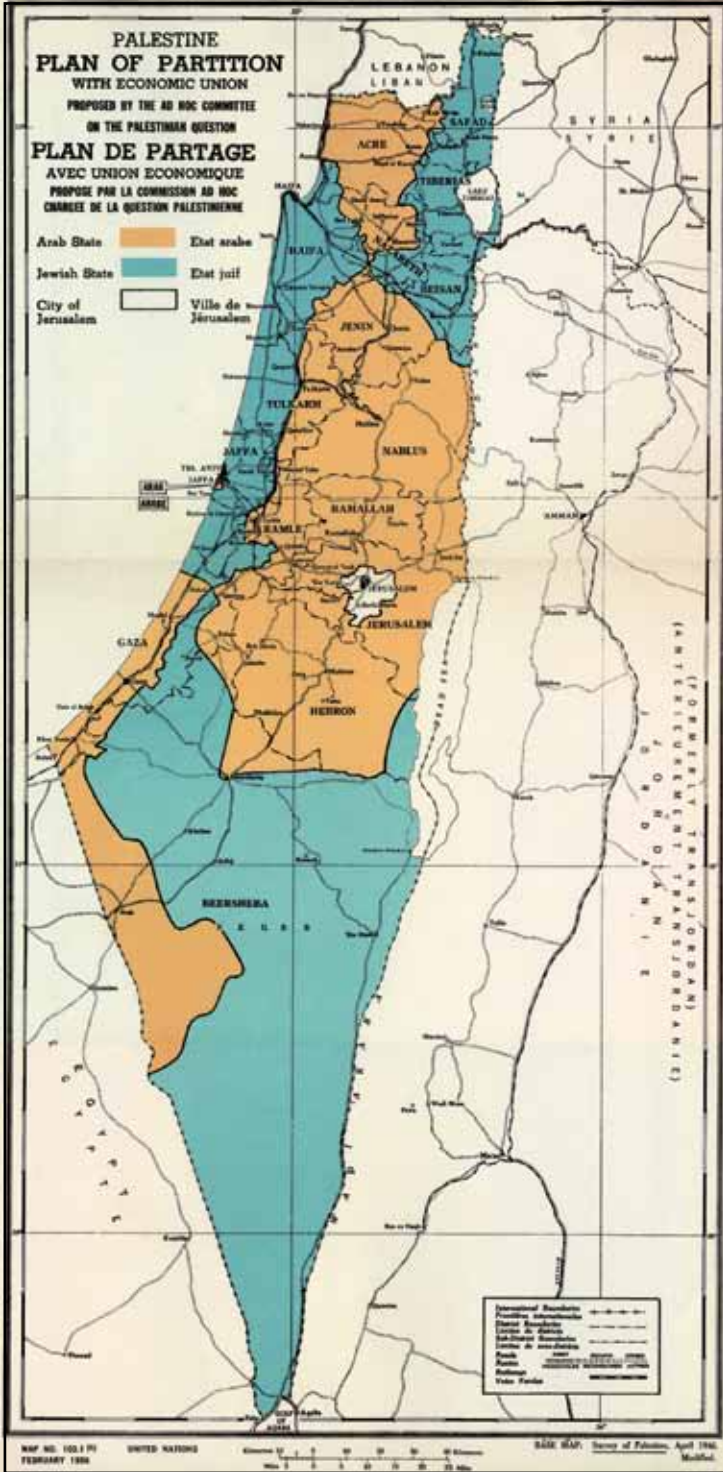
لقد أثبتت المهارات الكلامية لحاييم وايزمن وقدرته على الإقناع فاعلية على نحو خاص وساهمت في زيادة تعاطف أعضاء لجنة التوفيق الدولية مع المطالب الصهيونية. حضرت «لجنة التوفيق الدولية» تقريرين:



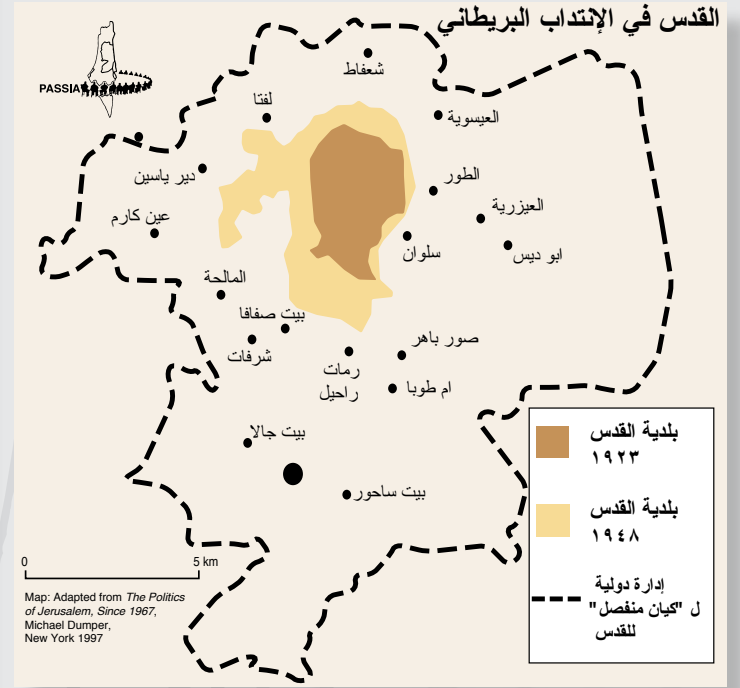
النكبة

عملية التهجير الفلسطيني

١٩٤٨



وتطبيق مشروع التقسيم والاتحاد الاقتصادي... يجعل لمدينة القدس كيان خاص منفصل (Corpus Sepratum) خاضع لنظام دولي خاص. وتتولى الأمم المتحدة إدارتها. ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة.»



وجاء في تعقيب المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي حول قرار التقسيم قوله :



وليد الخالدي

« كان (لقرار الأمم المتحدة) ظاهريا حكما لا تشوبه المصالح وقد صدر عن هيئة دولية غير منحازة. وهذا أعطى المفهوم سمات الموضوعية والإنصاف. وباختصار حل تسوية. غير أن تعريف تسوية هو ترتيب مقبول. لكن وبمرارة على المتنازعين. فلم يكن «تقسيم» فلسطين المقترح من «لجنة التوفيق الدولية» للأمم المتحدة

الخاصة لفلسطين شيء من هذا القبيل... كما أن كلمة «تسوية» توحى بتنازل متبادل. فما الذي تنازل عنه الصهاينة؟ لاشيء على الإطلاق... سيكون أمرا منافيا للطبيعة الإنسانية التوقع من الطرف الذي سوف يعاني من هذا التراجع الخوض في هذه الصفقة فقط لمجرد أن طرفا ثالث. وهو ذاته المقرب من قوة سياسية متعاطفة اختار التغطية على الموضوع بتسمية الصفقة «تسوية»»^①

الخارطة التاريخية الدولية لتقسيم فلسطين ١٩٤٨

التطهير العرقي لفلسطين

إذ هرب الكثيرون من تقدم القوات اليهودية لخوفهم الشديد من مواجهة مصير مشابه.

لم تشكل المدن الفلسطينية الكبيرة خديا مختلفا عن ثلث القرى بالنسبة للقوات الصهيونية إلا على نحو طفيف. فتحت ضغط إقامة منطقة يهودية متواصلة على طول القطاع الساحلي قبل الانسحاب البريطاني. شنت القوات اليهودية هجمات على حيفا ويافا لتأمين الساحل. كان القتال في يافا متواصلاً منذ كانون أول ١٩٤٧. إلا أنه مع انسحاب القوات البريطانية المفاجئ في نيسان ١٩٤٨. نفذت الهاجاناة هجوماً واسعاً على المدينة. ونظراً لالتصاق الأخبار الحديثة جدا عن دير ياسين في ذهن السكان. هرب كافة سكان المدينة العرب وكانوا حوالي سبعين ألف فلسطيني باستثناء أربعة آلاف تاركين وراءهم كل ما لم يستطيعوا حمله.



« لا يلتقي الفلسطيني مع الفلسطيني...
.. الا شريداً أو طريداً أو شهيداً »

محمود درويش

في أعقاب تصويت الأمم المتحدة لقرار «تقسيم فلسطين» في تشرين ثاني ١٩٤٧. تصاعد العنف بين اليهود والفلسطينيين. من خلال كمائن طرق متكررة وتفجيرات معدة من كلا الطرفين. وفي حالة من العزلة. وتجريد من السلاح ونفي القيادة ومع مواجهة عدو مدجج بالأسلحة ومنظم. أظهر الفلسطينيون كفاءة لا تتناسب مع القوات الصهيونية. وكانت حركة المقاومة والمعروفة بجيش الجهاد المقدس تقاتل في حرب مستحيلة. لقد شكلت وفاة القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل في الثامن من نيسان ١٩٤٨ ضربة قاسمة على نحو خاص للمعنويات الفلسطينية.

وفي عملية القضاء على حركة المقاومة الأهلية للسكان الأصليين. شرعت القيادة الصهيونية في برنامج خطير من التطهير العرقي قبيل انتهاء الانتداب البريطاني والمواجهات المحتومة مع البلدان العربية المجاورة. علماً أن الجيوش العربية لن تتدخل قبل الانسحاب البريطاني. وكان تركيز القادة الصهاينة على السكان الفلسطينيين من خلال هجمات وحشية متكررة على القرى. وبسرعة خلقوا حالة غير مسبوقة من الخوف. فأجبرت القرى القريبة من مستوطنات على الإخلاء قسرياً. وتمادت القوات اليهودية في مناوراتها باتجاه طرد العدد الأقصى الممكن حقيقه من السكان الفلسطينيين من فلسطين.

نظراً لأن غالبية السكان الفلسطينيين الريفيين عاشت حياة زراعية بسيطة ولم يكن لعظم الفلاحين حاجة اجتماعية. سياسية أو اقتصادية للتواصل مع قضايا وسياسات المدن الرئيسية. فمشاركتهم في الصراع المسلح ضد الصهاينة كان بالتالي مقتصرًا على حدود الدفاع عن قراهم؛ ونظراً للتواصل أو التعاون المتدني بين قرية واحدة وأخرى. أخذت كل قرية على عاتقها حماية نفسها بنفسها. والتركيز على قرية واحدة في وقت معين كان مهمة سهلة للقوات اليهودية المدججة بالسلاح والمنظمة للتأثير على إخلاء ما يزيد عن (٤٠٠) قرية فلسطينية قبيل الإعلان عن إنشاء «دولة» في أيار ١٩٤٨. إن استيلائها على القرى الفلسطينية قد يسهل إلى حد كبير من خلال انتشار الأخبار حول قساوة ووحشية أساليبها؛ فكان لمذبحة دير ياسين على وجه الخصوص وقعا مرعباً على السكان الفلسطينيين

دير ياسين

دير ياسين قرية فلسطينية صغيرة على مقربة من القدس التي «وافق سكانها» بكثير من التردد والتشكك بعدم القتال مع الهاجاناة. وفي التاسع من نيسان ١٩٤٨، شنت كل من عصابات إرغون وشنتين هجومًا دون أن يتطلب أو يستدعي ذلك أي استفزاز من أهالي القرية وذبحت ما يزيد عن ٢٤٥ فلسطيني وفلسطينية، ووفقًا للباحث بيني موريس في كتابه ضحايا أبرياء، قتلت عائلات بأكملها. وتحدثت تقارير لضباط يهود عن «تعامل وحشي مع الأسرى والأموات». مع استعراض للقرويين الفلسطينيين في شوارع مدينة القدس في شاحنات قبل إعادتهم إلى قريتهم حيث قتلوا. بالرغم من تنديد قيادة الهاجاناة للعملية، إلا أنها خدمت هدفًا مفيدًا في خطة طرد العرب إذ كان وقعها النفسي على الفلسطينيين مدمرًا.

١٢) شهادات مؤلمة من الناجين وشهود العيان:

- «أمر اليهود العائلة بأكملها الاصطفاف على طول الجدار ثم شرعوا بإطلاق النار علينا. أصبت في جاني إذ أن معظم الأطفال قد نجوا بعد أن اختبأنا خلف والدينا. أصابت الطلقات أخي قادي (الرابعة) في رأسه، أخي سامح (الثامن) في وجهه، أخي محمد (السابع) في الصدر. في حين قتل باقي من كان واقفا معنا على الجدار: والدي، والدتي، جدي، عماتي وعماتي وبعض من أبنائهم.»

- فهمي زيدان، الذي كان في الثانية عشر من عمره في ١٩٤٨، «[رأيت] رجلا يطلق النار على أختي صالحة التي كانت حاملا في شهرها التاسع، قام بعد ذلك بفتح معدتها بسكين لحم».

- «رأيت جثث نساء وأطفال الذين قتلوا في بيوتهم بدم بارد بواسطة إطلاق النار، وبدون وجود ما يدل على معركة أو تفجير للمنازل. لقد تعلمت من تجربتي أن الحرب لا تخلو من القتل وأن المحاربين ليس هم فقط من يقتلون. شهدت العديد من الحروب غير أنني لم أصادف مشهدًا شبيها بدير ياسين.

- «إلياهو أربيل من الهاجاناة، والذي وصل إلى دير ياسين في العاشر من نيسان»

«كل ما يمكن أن يبادر إلى ذهني هو قوات الشرطة الخاصة التابعة لالمانيا النازية في أئينا»

- جاك دي رينر من الصليب الأحمر، أول من وصل إلى الموقع.

«كان يوما ربيعيا جميلا فيه أشجار اللوز مبرعمة والأزهار متفتحة، وفي كل حذب وصوب رائحة خلل جثث الموتى. عبق الدم الكثيف ورائحة الجثث الفظيعة وهي تحرق في الحجرة»

- يشيروني شيف من الهاجاناة، والذي وصل فور وقوع المذبحة.

لم تكن دير ياسين حدثًا منفصلا كما لم تكن هذه المجازر البشعة مقتصرًا على أعضاء جماعتي إرغون وليحي الأرابيين. فقرى مثل بلد الشيخ، سعسع الحولة والدوامة كانت مشاهد لذات الهجمات. (أنظر على سبيل المثال في كتاب سامي هداوي حصاد مر).

المصدر: كافة الاقتباسات من كتاب كولنس ولايبير، آه يا قدس! (تاتشستون، ١٩٨٨)



تشريد الفلسطينيين



فلسطينيو يافا ١٩٤٨

بعد أيام قليلة من سقوط حيفا، حولت القوات اليهودية كل انتباهها إلى يافا بالرغم من كونها مدينة عربية بشكل مطلق وخارج المنطقة المخصصة لليهود وفقا لخطة الأمم المتحدة للتقسيم: وأدى قصف ثقيل بالقذائف وبدون تمييز للمدينة ورحيل قيادة يافا العربية، إلى جانب الأخبار عن وحشية القوات الصهيونية في دير ياسين، إلى فرار سكان المدينة. معظمهم تركوا المكان في سفن خطيرة ومزدحمة، وقابل العديد مصيرا تراجيديا لدى غرقهم في الطريق.

وكذلك في ربيع عام ١٩٤٨، شنت القوات اليهودية عمليات لاحتلال الجليل. فأمر يغال ألون بشن «عملية يفتاح» بناء على استراتيجية أن الطريقة الأبسط والأفضل لتأمين الجبهة هي من خلال تطهير المنطقة كليًا من كافة القوات العربية والمدنيين العرب. وفي حالة صفد، هاجمت قوات يهودية القرى المحيطة لإحباط معنويات سكانها قبل مهاجمة البلدة نفسها. وعندها رحل سكان المحافظة.

«سأل يغئال ألون بن غوريون عما يجب فعله بالسكان المدنيين. فلوح بن غوريون بيده بإشارة «قدمهم إلى الخارج». و «قدمهم إلى الخارج» هو تعبير ذو صدى قوي. فمن الناحية النفسية. كان هذا أحد أصعب الأعمال التي قمنا بها. فلم يترك سكان اللد بمحض إرادتهم. ولم تكن هنالك طريقة لتفادي استخدام القوة وطلقات الإنذار لإجبار السكان على المشي الأميال العشرة أو الخمسة عشر حيث التقوا بالفيلق العربي.»^(١٣)

- إسحاق رابين. مذكرات خدمة. نشرت في نيويورك تايمز. ٢٣ تشرين أول ١٩٧٩



القوات البريطانية ترحل عن فلسطين، ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨

انقضاء الانتداب

لقد حدث كل ذلك في ظل عدم اكتراث السلطات البريطانية. والتي بعد أن نقلت ثقلها العسكري والسياسي بشكل حازم لصالح الصهاينة وقامت بتبني سياسة «عدم التدخل» في الصراع والمجابهات بالرغم من مسؤوليتها المفترضة عن القانون والنظام في حكم انتدابها.

استمرت عمليات طرد الفلسطينيين في أعقاب انسحاب القوات البريطانية في أيار ١٩٤٨ والمواجهات الإسرائيلية الأولى مع قوات عربية منظمة. هوجمت البلدتان العربيتان اللد والرملة والواقعتان استراتيجيا على الطريق الواصل بين تل أبيب والقدس. في تموز ١٩٤٨ بالرغم من كونهما جزءاً من الأراضي المخصصة للدول العربية بحسب قرار الأمم المتحدة للتقسيم. ومع أن دور الجيش العربي كان يقتضي القدوم للدفاع عن البلدات إلا أنه اختار عدم مواجهة القوات الإسرائيلية. فطرد ما يزيد عن ستون ألف فلسطيني من البلدات وأجبروا على مغادرة اللد والرملة.

خلال الأشهر الأخيرة التي سبقت رحيل بريطانيا عن فلسطين. كان قد أجبر نصف السكان الفلسطينيين على مغادرة بيوتهم وأراضيهم وترك أملاكهم...



البن غوردن كنهام يغادر حيفا كأخر مندوب سامي بريطاني منهيًا حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين

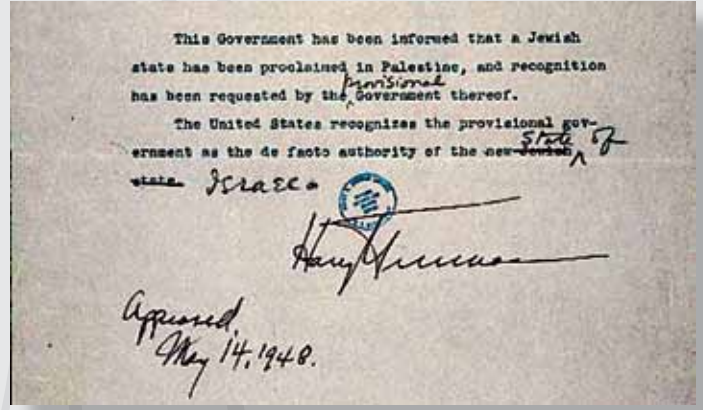
بعد أن استغل الصهاينة خالفهم مع البريطانيين إلى أقصى حد قبيل التحول الفعلي ضدهم «واجبارهم» على اخلاء فلسطين، نجحوا في الوصول الى «حليف جديد» في شخص الرئيس الأمريكي هاري ترومان. فعملت وزارة الخارجية الأمريكية بشكل حثيث للتفاوض حول بديل للحرب في فلسطين من خلال تأجيل الإعلان عن قيام دولة. ويتناقض مباشر مع جهود إدارته. أعلم الرئيس ترومان وبشكل سري، حاييم وايزمن. بأنه سوف يعترف بهذا الإعلان في حال طرحه.

المواجهات العسكرية العربية- الإسرائيلية في عام ١٩٤٨

لقد عرضت أحداث ومعارك عام ١٩٤٨ «كانتصار» للشعب اليهودي أمام «ادعاء بأن قوات عربية منظمة دخلت فلسطين بهدف «جر اليهود إلى الحرب» أصبحت رواية «داود وجوليات» للأحداث، والتي أعطيت ثقلاً في الأسلوب البلاغي التهديدي للدعاية العربية التي تعهدت بمنع التقسيم. أحد أهم الأساطير التأسيسية لدولة إسرائيل، بحيث تستمر هذه «الأسطورة» في تعريف هوية الإسرائيليين ومواقفهم تجاه جيرانهم. مع هذا حتى التحليل الأكثر سطحية للحقائق يثبت أن رواية الأحداث هذه ليست صادقة في كل حساب، فلم يتحقق نصر بأعجوبة. كما لم يربح الإسرائيليون «المعركة» لوحدهم بل بدعم دولي هائل، دبلوماسي ومادي؛ أمام خصم مجزأ وضعيف، ومنقسم في عالم عربي «متصارع مع نفسه ومنقسم» وجاءت عملية تقسيم فلسطين كنتيجة متوقعة.

إن الفكرة السائدة أن القوات العربية كانت قوة متحدة وتعمل من أجل هدف واحد ووحيد وهو الدفاع عن فلسطين بعيدة كل البعد عن الحقيقة. حتى وإن ناشد الصوت الشعبي في الشارع العربي قادة البلاد العربية ليهبوا لمساعدة أخوتهم في فلسطين، لم يكن هذا بالهدف الحقيقي للقادة العرب في أية مرحلة من المراحل.

ساعد هذا التطمين الأمريكي للصهاينة الإعلان عن قيام الدولة ولأن الحكومة الأمريكية ستدعمهم؛ فقد جرى الاعتراف «بالدولة» من جانب الولايات المتحدة خلال ساعات من إعلانها.



برقية الولايات المتحدة والتي تعترف بإسرائيل بعد ١١ ساعة من إعلانها.

برقية الرئيس هاري ترومان والتي يسجل فيها اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بدولة «إسرائيل» لقد شطب الرئيس بخط يده كلمة «دولة يهودية» وكتب «دولة إسرائيل»! في ١٤- أيار- ١٩٤٨ وذلك بعد ١١ ساعة من قرار هيئة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين.



الملك عبدالله، الرئيس اللبناني بشارة الخوري، الرئيس السوري شكري القوتلي وولي عهد العراق الأمير عبد الله



حاييم وايزمن والرئيس هاري ترومان

الفلسطينيون عاجزين بسبب قمعهم وتجريدتهم من السلاح خلال عهد الانتداب البريطاني في حين سمح لليهود بأن يبنوا قوات منظمة، مدججة بالسلاح ومتدربة بشكل جيد. كان توجههم نحو جيش مسلح غير منظم قادرا على تحقيق انتصارات في مواجهات صغيرة إلا أنه وفي نهاية المطاف «فشل» بدون استراتيجية وبدون دعم جيوش منظمة.

عانت المقاومة الفلسطينية من تراجع حقيقي حتى قبل التدخل العسكري للحكومات العربية لدى استشهاد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل في الثامن من نيسان عام ١٩٤٨. وأيضاً عند استشهاد خليفته حسن سلامة في معركة رأس العين في الثاني من حزيران. تُرك المحاربون الفلسطينيون بدون قيادة وفي حالة من الفوضى. ولم يعد يواجه الإسرائيليون تهديداً جدياً في داخل حدود فلسطين في عهد الانتداب.

ونظراً لفهمه تعقيدات السياسة العربية الداخلية، عبر المفتي الحاج أمين الحسيني من خلال تصريحات صحفية عن معارضته لتدخل الدول «الحكومات» العربية في المسألة الفلسطينية وفي جانب آخر دعا إلى توجيه هذا «التدخل» بدعم مالي ومادي. ففي مؤتمر انشاص بالاسكندرية عام ١٩٤٨ تحت رعاية الملك فاروق تقرر تكليف الملك عبد الله مهام القائد الأعلى للقوات العربية في فلسطين.



عبد القادر الحسيني



حسن سلامة



سعيد العاص

وعملها كان الفلسطينيون لوحدهم منذ البداية. يمكن تعريف جوهر أحداث عام ١٩٤٨ كصراع بين الكتلة العربية الهاشمية والكتلة العربية المعادية للهاشمية نظراً لرغبات الحكومات العربية في إعادة ترتيب حدود دولها في أعقاب الانسحاب البريطاني من فلسطين. وخلف ستار من الوحدة العربية في وجه الدولة اليهودية التي قبلوا بتحقيق بقائها بعد النزاع. ضم الامراء الهاشميين لإمارة شرق الأردن والعراق القوات في خالف غير مريح وبانعدام ثقة متبادل وغيره وذلك لفحص مدى «دهاء» سوريا ومصر في فرض السيطرة على أراض في فلسطين وفي حماية حدودهما من جيرانهما.

وقع الفلسطينيون في قلب مثلث هذا الصراع. كونهم عاجزين جراء خلافات الاخوة العرب. كانت الجماعات المسلحة الفلسطينية غير المنظمة العرب الوحيدين الذين قاتلوا حقاً من أجل القضية الفلسطينية. والوحيدين الذين قد يخسروا كل شيء.

بلغ تعداد جيش «الجهاد المقدس» فقط بضع مئات من الرجال وحقق بعض النجاحات المبكرة تحت القيادة المتمكنة لعبد القادر الحسيني. غير أنه عانى من الكثير من النواقص الأساسية. أولها وأكثرها بروزاً كان العامل العددي؛ بالإضافة إلى تأثير معنوياتهم من غياب جميع قادة الحركة الوطنية في المنفى منذ عام ١٩٣٧. من منظور استراتيجي، كان



الملك عبد الله والملك فاروق في القاهرة ١٩٤٨

شرق الأردن



الملك عبد الله

مع صدور قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ لتقسيم فلسطين، كان اليهود قد أعدوا حكومة وقوة شرطية وجيشاً لفرض سيطرتهم في أعقاب الانسحاب البريطاني في نهاية الانتداب؛ ومنع الفلسطينيين في هذه الأثناء من اتخاذ أية خطوة لإقامة مؤسسة وطنية ولبناء نظام حكم وطني، وجردوا من إمكانيات إنشاء قوة عسكرية. وتباً لرئيس وزراء الأردن توفيق أبو الهدى أنه وبدون التدخل إما سيتجاهل اليهود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم ويحتلوا فلسطين

بأكملها لغاية نهر الأردن، أو أن يعود خصم الملك عبد الله، المفتي الحاج أمين الحسيني إلى فلسطين ويحاول أن يكون قائداً لدولة عربية جديدة.^(٤)

في كانون ثاني ١٩٤٨، سافر توفيق أبو الهدى برفقة وزير خارجيته فوزي الملقى والقائد العام للجيش العربي الجنرال البريطاني غلوب باشا إلى لندن للقاء وزير الخارجية البريطاني



توفيق أبو الهوى

إرنست بيفين. وبحسب غلوب باشا عرضت حكومة الأردن إرسال الجيش العربي عبر الأردن لدى انتهاء الانتداب لفرض السيطرة على ذلك الجزء من فلسطين الممنوح للعرب والمتواصل مع إمارة شرق الأردن. وقام الجنرال غلوب باشا بتعديل هذه الخطة بتذكيره لأبي الهدى أنه ليس بمستطاع الجيش العربي السيطرة على



أرنست بيفين

الجليل أو منطقة غزة. وافق ارنست بيفين على المقترح وقال لهما «من الواضح أن هذا ما هو مطلوب، ولكن إياكم أن تجتاحوا المناطق المخصصة لليهود.» رد رئيس وزراء الأردن على ذلك بالقول «لن تكون لنا قوات لفعل ذلك حتى ولو رغبنا بذلك»^(٥)



غلوب باشا

القدرات العسكرية

كان لمعظم الجيوش العربية خبرة قليلة أو لا خبرة على الإطلاق في القتال، وواجهوا عراقيل بسبب النقص في الأسلحة المناسبة والذخيرة فجرى تجنيدهم بالأساس في الشرطة المحلية. الجيش الوحيد المدرب جيداً والمزود بالعتاد الكافية وذو خبرة في القتال كان «الجيش العربي» بقيادة الملك عبد الله، والذي ضم فقط ٤,٥٠٠ من ما مجموعه تقريباً ٢٣,٣٠٠ قوات عربية منتشرة في بداية الصراع.

تألفت القوات الإسرائيلية في بداية الحرب من حوالي ٢٧,٠٠٠ فرد، مدعومين بمقر قيادة ذو بنية مركزية، التدريب الجيد، الخبرة القتالية للعديد من الجنود من الحرب العالمية الثانية، الدعم المالي الهائل واستراتيجية عسكرية مخطط لها بحذر شديد. بالإضافة إلى هذا، كان لديهم ما تعدده ٩٠,٠٠٠ من قوات الاحتياط في المستوطنات، محاربين شباب وحراس منازل، وكذلك منظمي إرغون وليحي، ومع تلقيهم السلاح الأولي والتعزيزات عبر البحار، أصبح الصحاينة في مكانة أرفع من كافة النواحي العسكرية، الأرقام كما أوردتها وليد الخالدي.

اقتبس وليد الخالدي من كتاب سيمحا فلابان، ولادة إسرائيل، تورونتو، ١٩٨٧، صفحة ١٩٦.



الكولونيل عبدالله النل والكولونيل موشيه ديان يلتقيان لمناقشة تقسيم القدس.



غولدا مئير

بدأ الملك عبد الله بسلسلة اتصالات عبر مبعوثين مع قادة الوكالة اليهودية. وصل قمتها بلقاءات مع غولدا مئير في عام ١٩٤٧ ومرة أخرى في أيار ١٩٤٨. وذلك قبل أيام فقط من الانسحاب البريطاني من فلسطين. ومع الاعلان عن إقامة دولة في ١٤ من أيار. كان قد تم التوصل لتفاهم بين الوكالة اليهودية وحكومة الملك عبدالله.

كان القتال الأولي بين الجيش العربي والقوات اليهودية شرسا بالرغم من الاتفاقات بين الملك عبد الله والقيادة الصهيونية. وفي حين ظل الجيش العربي في داخل المنطقة المخصصة للعرب في خطة الأمم المتحدة للتقسيم وكما هو متفق عليه. حاولت القوات اليهودية الاندفاع إلى المنطقة المخصصة للعرب باتجاه القدس. كان الحصن اللطرون السابق في منطقة اللطرون



حابس المجالي، قائد قوات الجيش العربي ضد الهجمات اليهودية في باب الواد وفي اللطرون.

والذي أحكم السيطرة على الشارع الواصل بين تل أبيب والقدس في داخل المنطقة العربية في قبضة الجيش العربي في مواجهة هجمات يهودية. في هذه الأثناء. تم صد هجمات يهودية على البلدة القديمة للقدس من قبل القوات الأردنية.

أعطى الجنرال غلوب باشا أهمية استراتيجية كبيرة للسيطرة على اللطرون ولم يكن راغبا في تفعيل موارده المحدودة في مكان آخر. كان الوصول إلى بلدي اللد والرملة الواقعتين في قلب الدولة العربية المخصصة وفقا لخطة التقسيم أمرا سهلا لقواته. غير أن حمايتهما سترك اللطرون والطريق الواصل إلى القدس في وضع هش أمام القوات اليهودية. فجاء بقرار استراتيجي بالتضحية بهاتين البلديتين. (١) غير أن ما أعقبه من إخلاء للرملة واللد على أيدي القوات اليهودية وطرد سكانها إلى حدود الجيش العربي قد ألقى انتقادا حادا للجنرال غلوب باشا وللملك عبد الله بعد الهدنة الثانية في أوائل العام ١٩٤٩.



حالة القدس بعد عام ١٩٤٩، مع أرض حرام بإشراف الأمم المتحدة تفصل شطري المدينة.

جيش الانقاذ

الحاج أمين الحسيني السلطة في «دولة فلسطينية مستقلة» كما كان لهذا التعيين «مصلحة» يهودية في قيام مواجهة عسكرية بين قوات القاوقجي وقوات جيش الجهاد المقدس. بينما أعطى في الوقت ذاته انطبعا للعالم الخارجي أنه يقود حملة ناجحة ضد الصهاينة.

إن تصريحات فوزي القاوقجي حول انتصارات عسكرية غير حقيقية ضد اليهود لم تساعد القضية الفلسطينية على الإطلاق في الصراع. وقد يكون معارضته بإعادة إمداد القوات الفلسطينية غير المنظمة في معركة القسطل أحد الأسباب في خسارة المعركة واستشهاد عبد القادر الحسيني.

كان عدد من المسؤولين العرب في اجتماعات القاهرة، والرياض ودمشق يرغبون في منع قوات الجيش العربي بقيادة الجنرال غلوب باشا من الدخول إلى فلسطين «لضم» أراض جديدة تحت حكم الملك عبدالله، غير أنهم لم يكونوا راغبين بإرسال قواتهم إلى القتال قبل الانسحاب البريطاني. وقد عملت الجامعة العربية على إرسال متطوعين ليشكلوا «جيش الانقاذ» بقيادة فوزي القاوقجي في محاولة لاستباق التحرك الأردني.

فوزي القاوقجي (السوري الجنسية)، عمل مع عدد من الحكومات العربية وغيرها في المنطقة، من بينها القوات العثمانية.



فوزي القاوقجي



قوات جيش الانقاذ



عبد القادر الحسيني (في المركز) مع ضباطه قبل معركة القسطل، نيسان ١٩٤٨.

والفرنسية والعراقية. وأكسبته موهبته في إظهار نفسه كقائد عسكري ناجح بالرغم من أنه عاش فترة من «التناقض» و«الإزدواجية» في علاقاته الشخصية والمهنية طوال فترات الصراع المسلح في عام ١٩٤٨. وجاء قرار الجامعة العربية تعيينه كقائد لجيش الانقاذ سياسيا، حيث أن خلافه السياسي والشخصي مع الحاج أمين الحسيني تماشى جيدا مع رغبة الحكام العرب عدم تولي المفتي

مصر

قويا للقضية الفلسطينية بتعبئة الرأي العام وفي التأثير على الملك والحكومة. وبعد تشجيع من الملك عبد العزيز بن سعود على القيام بذلك والذي كانت له خلافاته مع الهاشميين. قرر الملك فاروق بالرغم من معارضة حكومته وقادة الجيش المصري ارسال القوات المصرية الى فلسطين.

كانت القيادة المصرية مترددة جداً في إرسال قوات إلى فلسطين منذ بداية الصراع. فعارض الفكرة رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا بسبب «الإحتقان» في العلاقات البريطانية- المصرية. وعارضت قيادات في الجيش لأسباب استراتيجية عسكرية وأيضاً عارض ذلك عدد من النواب في البرلمان المصري بسبب احتمال تأثير ذلك على «العلاقات الطيبة» مع الجالية اليهودية في مصر.



الشيخ حسن البنا في مهرجان لدعم فلسطين مع رئيس الوزراء السوري جميل مردم بيك في القاهرة في عام ١٩٤٥.



الملك عبد العزيز بن سعود وعبد الرحمن عزام باشا والملك فاروق.



القائد العسكري المصري محمد سعيد طه يتفاوض حول إخلاء قواته من النقب. على يساره يتسحاق رابين الذي أصبح فيما بعد قائداً للقوات الإسرائيلية



رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس، يتحدث مع عبد الرحمن عزام باشا، والأمير فيصل بن عبد العزيز.

ركزت القيادة المصرية (الملك والحكومة) اهتماماتها وسياساتها الإقليمية على احتواء دور وطموحات الملك عبد الله بدلاً من التركيز على التحديات والإطماع الصهيونية بالدرجة الأولى. غير أن الغالبية العظمى من الشعب المصري دعا مصر للخروج إلى جُدة شعب فلسطين. يعزى ذلك إلى حد كبير إلى جهود حركة الإخوان المسلمين، الذين شكلوا دعماً

العراق

فرض الرأي العام العراقي في أعقاب قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ للعام ١٩٤٧ ضغوطا كثيفة على القيادة العراقية لتهدد لنجدة الفلسطينيين بمظاهرات وإضرابات عن الطعام حيث طالب العراقيون بدخول فلسطين. وفي ١٥ أيار، انتشرت ثلاث فرق عراقية بتعداد حوالي ألفي رجل من بغداد وعبر شرق الأردن باتجاه فلسطين تحت قيادة الجنرال بكر صدقي.

اتسمت الحملة العراقية بانعدام التواصل بين القيادة العسكرية والسياسية في بغداد، والضباط والوحدات العسكرية في فلسطين بالإضافة الى «فوضى» الاتصالات والتنسيق بين قادة الوحدات العسكرية، وبالرغم من هذا تمكنت القوات العراقية من إحداث هجمات أمامية أولية مكلفة على مواقع يهودية من على تلال غور الأردن. واتخذت القوات العراقية مواقع دفاعية وأوقعت خسائر فادحة في القوات اليهودية المتصدية. وعندما انسحبت القوات اليهودية لتوحيد مجموعاتها، سلم الجنرال غلوب باشا قائد الجيش العربي السيطرة على مثلث جنين- طولكرم- نابلس للعراقيين لكي يجابهوا الضغط اليهودي المتصاعد على القدس. نظرا لحشيتهم من القوات اليهودية، والنقص في التمويل والذخيرة وازدياد انعدام الثقة بقيادة الجنرال غلوب باشا للقوات الأردنية، لم يقم العراقيون بأية محاولة للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط أو طريق تل أبيب- القدس بالغ الأهمية على بعد ستة أميال، والذي كان من شأنه شق فلسطين إلى قسمين، فكانوا راضين بالسيطرة على الجزء الشمالي المعروف حاليا بالضفة الغربية.

كان الدور الرسمي المصري في نهاية الأربعينيات في مجالات القيادة والتنظيم والتسليح ضعيفا وسيئا بناء على تحاليل مخبرانية. وقد رفض القادة المصريين الاعتراف بقدرات القوات اليهودية التي سوف يواجهها. وفي أعقاب حملة قامت بها القوات المصرية بمهاجمة النقب، جرى تبني استراتيجية غير فاعلة بوضع القوات في خط دفاعي، وهو وضع معقد نظرا لأن الطرق التي يتلقوا منها الدعم تمر عبر مجموعة كبيرة من المستوطنات اليهودية خلف خطوطهم. وعندما شنت قوات يهودية بقيادة يغنال ألون «عملية يوآف»، قامت بكسر خط الدفاع وهاجمت القوات المصرية من الخلف.

فسقطت مدينة بئر السبع في غضون أيام وتراجع العدد الأكبر من القوات المصرية ليغرقوا في حالة من الغضب والفوضى. كان كل ما تبقى من معارك أمام القوات المصرية هو ما أصبح يعرف لاحقا «جيب الفلوجة»، حيث قاتل الجنود المطوقين والمعرزولين ببراعة ضد الهجمات اليهودية لمدة أربعة أشهر، وانسحبوا فقط بعد اتفاق الهدنة بوساطة الأمم المتحدة. كان في تلك الموقعة (معركة الفالوجه) الضابط المصري جمال عبد الناصر، الذي شكل وزملاءه الغاضبين حركة الضباط الأحرار التي أطاحت فيما بعد بالملك فاروق عام ١٩٥٢.

يقول جمال عبد الناصر في مذكراته حول دخول مصر في معارك



جمال عبد الناصر

عام ١٩٤٨: «لا يمكن أن تكون تلك حربا جديدة، فلم يكن هناك تركيز للقوات، أو تجميع للذخيرة والعتاد، ولم تكن عمليات استكشاف، أو استخبارات أو خطط، ومع هذا تواجدنا في ساحة المعركة... إن الخلاصة الوحيدة التي يمكن التوصل إليها أنها كانت حربا سياسية، أو بالأحرى حالة حرب ولا حرب، فكان بالإمكان إحداث تقدم بدون نصر وتراجع بدون هزيمة.» (١٧)



الملك عبد الله مستعرضا القوات العربية خلال زيارة إلى العراق مع نوري السعيد، رئيس الوزراء وولي العهد الأمير عبد الله.

لبنان

بالرغم من الرواية الصحفية عن قدرات القوات اللبنانية كأحد الجيوش «الضخمة» التي ألحقت أضرارا بإسرائيل في المواجهات العسكرية في عام ١٩٤٨، إلا أن مساهمة لبنان كانت مجرد إشارة لبادرة تضامن عربي. فبعد أن حصل لبنان مؤخرا على استقلاله من فرنسا، كان لبنان في وضع توازن سياسي حساس ما بين الفصائل اللبنانية المختلفة كما أنه لم يكن في وضع سياسي أو عسكري لخوض حرب ضد عدو منظم أو أن يعزل طوائفه المتعددة والمختلفة. فهُزمت مجموعة لبنانية صغيرة سيطرت على أجزاء من الجليل على يد القوات اليهودية قبل انقضاء الصراع العسكري.



رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح خلال لقاء للجامعة العربية في القاهرة، ١٩٤٨. مع الحاج أمين الحسيني، وجميل مردم بيك وعبد الرحمن عزام باشا.

سوريا

كانت القيادة السورية منشغلة بثلاث أمور هامة: انعدام الاستقرار الداخلي في أعقاب الاستقلال من فرنسا عام ١٩٤٦. معارضتها لطموحات الملك عبد الله ومشاريع سوريا الكبرى. واهتمامها في الحصول على موارد المياه المتوفرة داخل حدود الانتداب البريطاني. وكانت هذه الموارد قد درست بعناية في فلسطين لدى رسم البريطانيين الحدود في عام ١٩٢٣. بعرض عشرة أمتار ممتدة على طول حدود الشاطيء بحيث تمنع السوريين من الوصول إلى بحيرة طبريا وقطاع أراضي يتراوح بين (٥٠) إلى (٤٠٠) متر عرض على الجانب السوري من النهر من بحيرة طبريا ولغاية بحيرة الحولة لضمان ضمها إلى فلسطين. نظرا لهذه الاعتبارات، دعم الرئيس شكري القوتلي خطط الجامعة العربية في تشكيل جيش الانقاذ لانتداب متطوعين

ليقوموا بدفع تكلفة القتال في داخل فلسطين. مما سيجب له إبقاء قواته على مقربة من الحدود السورية. وكانت الرغبة في اعطاء الأولوية لمسألة الاستقرار في البلاد وترك مسؤولية جيش الانقاذ العربي على الجامعة العربية في حالة النصر أو الهزيمة وليس على القيادة السورية أو شخص القائد فوزي القاوقجي.

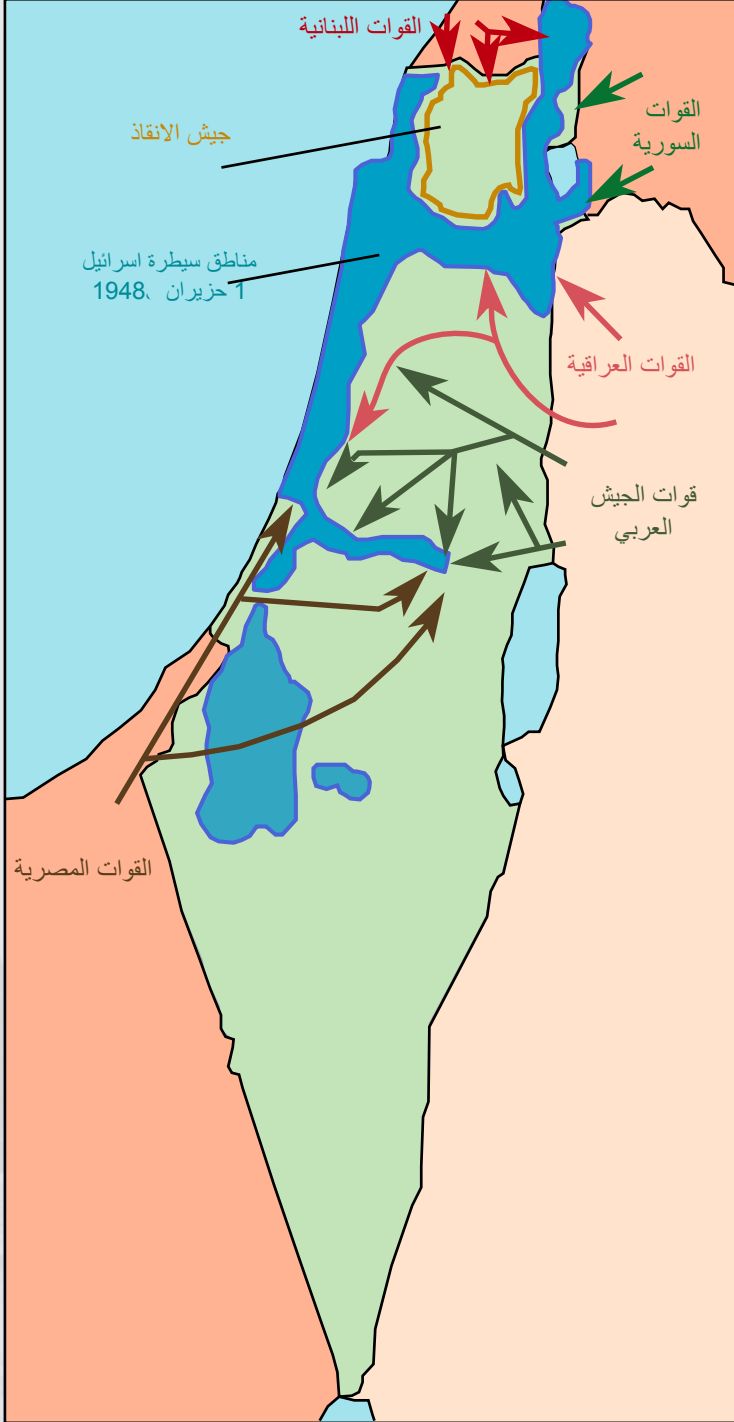
لقد كان الرئيس شكري القوتلي فخورا بقدرات الجيش

السوري لالحاق الهزيمة باليهود قبل بدأ المواجهة بين الجيوش العربية والقوات اليهودية. فقد قال الرئيس القوتلي لاحد القادة الفلسطينيين (موسى العلمي) «أنا مسرور بأن أعلمك بأن جيشنا ومعداته من الطراز الأعلى وسيتمكن من التعامل مع ثلثة من اليهود». ثم استطرد: «أستطيع أن أقول لك بثقة بأن لدينا قنبلة نووية... تم تصنيعها محليا: فقد وجدنا شخصا ذكيا للغاية، إنه حداد...»^(٨)

بالرغم من هذه «المبالغة الخطابية» وفي التمني الوهمي، إلا ان الرئيس شكري القوتلي كان يعلم جيدا بالمكانة المهنية المدنية لقوات الجيش السوري ولم يكن راغبا في الدخول في مناورات قد تضعف حدوده مع الأردن أمام طموحات الملك عبد الله. المعروفه بالمطالبة «بسوريا الكبرى». هذا وقدر الجنرال غلوب



مخيم المياه وميه قرب صيدا



خارطة: انتشار القوات العربية، أيار ١٩٤٨



حسني الزعيم



أديب الشيشكلي

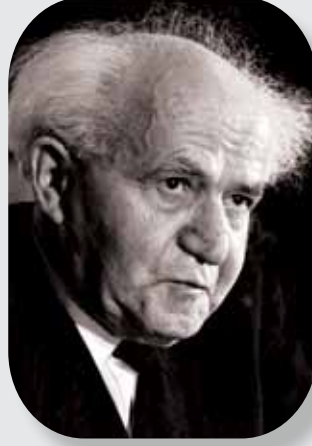
باشا عدد القوات السورية ب (٣,٠٠٠) فرد من أصل قوات متوفرة تعدادها (٤,٥٠٠). في حين قدرت المخابرات الأمريكية انتشار ألف مقاتل سوري في أواخر حزيران، و(١,٥٠٠) آخرين بالقرب من الحدود السورية. أوقعت بها هزائم كبيرة في الأسبوع الأول من الأعمال العدائية في سمخ في الجليل والدفاع في الكيبوتسات حوالي (٣٠٠) جندي سوري قتل. وبنجاح هزيمة عام ١٩٤٨. تكشف أزمة النظام السياسي في سوريا الذي تمثل

باتهام الحكومة بالفشل والعجز في الإعداد للحرب وتصاعد غضب الشعب السوري الذي انعكس في صراعات الأحزاب وانتقادات الصحافة. وعلى أثر عزل وزير الدفاع وقائد الجيش، بدأت سلسلة من الانقلابات العسكرية في سوريا. الأول انقلاب الكولونيل حسني الزعيم في ٣٠/٣/١٩٤٩. وعزل الرئيس شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم. ثم الانقلاب الثاني بقيادة الكولونيل سامي الحناوي في ١٤/٨/١٩٤٩. واعدام حسني الزعيم ورئيس

وزراءه حسني البرازي ثم الانقلاب الثالث بقيادة الكولونيل أديب الشيشكلي في ١٩/١٢/١٩٤٩ والذي استمر في الحكم حتى استقالته ومغادرته البلاد في عام ١٩٥٤.

ومع انقضاء الأعمال العدائية، كان السوريون قد اخترقوا مسافة كافية للسيطرة على موارد مياه استراتيجية بالقرب من الحدود وكانوا راضين بالدفاع عنها طوال المواجهات العسكرية مع القوات اليهودية بدون حُد إضافي لهم. فلم يستولوا إلا على (١٦,٥) من الأراضي. ولم يزودوا جيش الانقاذ بالمساعدة والدعم المطلوب حيث كانوا يندفعون شمالاً إلى لبنان مع تقدم القوات اليهودية.

اسرائيل



دافيد بن غوريون

في الفترة التي أعقبت قرار التقسيم، كانت مختلف التنظيمات والهيئات السياسية في المجتمع اليهودي قد أدمجت في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بقيادة دافيد بن غوريون، الذي إلى جانب مناصبه الأخرى، استحوذ على قوة أكبر من زملائه في القيادة الصهيونية. ومع خضوع الوكالة اليهودية بأكملها والقوات العسكرية لسيطرته^(١٩) كان بإمكانه إدارة حملة متماسكة ومنسقة

لتأمين ليس فقط المنطقة المخصصة للدولة اليهودية في خطة التقسيم، بل كذلك جزءا كبيرا من الأراضي المخصصة للدولة العربية. وتحولت الميليشيات اليهودية تحت قيادته في عام ١٩٤٧ إلى جيش نظامي تحت قيادة يعقوب دوري ويغنال يادين.

ونظرا لتلقيهم مساعدات كبيرة من سلطات الانتداب البريطاني، شكلت الحركة الصهيونية من العصابات المسلحة «جيشاً» كبيراً، ومدججاً بالسلاح ومدرباً

جيذا وبخبرة قتالية واسعة. كما تمكن بعد «حل قوات الجيش اليهودي» على أيدي البريطانيين خلال الحرب العالمية الثانية، قام الجيش بتغيير بنيته وعرس جذوره عميقا في مجتمعات المستعمرات الصهيونية في فلسطين. بالتالي أصبح يحافظ على بقائه ذاتيا وسهلت عملية التجنيد إلى حد كبير. كما نشأت ثقافة المستوطنات اليهودية المسلحة التي ما زالت تنغص حياة الشعب الفلسطيني حتى يومنا هذا.



يعقوب دوري

خلال العمليات العسكرية التي سبقت نهاية الانتداب، والتي طرد فيها مئات آلاف من الفلسطينيين من بيوتهم وأراضيهم، ضمن الصهاينة القطاع الساحلي والجليل خضيرا للمواجهة المتوقعة مع الجيوش العربية. ولعبت خلال هذه العملية قوات إرغون وليحي العسكرية دورا حاسما في تنفيذ عملية وحشية أوقعت الخوف في قلوب الشعب الفلسطيني ودفعت إلى ترحيل وتهجير المواطنين إلى البلدان العربية المحيطة بفلسطين. كانت القيادة اليهودية مدركة تماما انعدام التنسيق بين القوات العربية التي تواجهها، وذلك بفضل التكنولوجيا الاستخباراتية والاختراق اليومي لاتصالات العرب والفلسطينيين. كان بن غوريون شديد التحمس لمعرفة مدى قوة الحاج أمين الحسيني في السيطرة على الأحداث السائدة من المنفى، حيث تواجد منذ عام ١٩٣٧. وتعكس مذكرات بن غوريون على نحو متكرر درجة فقدان القوة لدى الفلسطينيين المحليين المتواجدين على الأرض، وحالة انقسامهم وغياب القرار.



بعد إخلاء اللد من سكانها ودفع المدنيين الفلسطينيين باتجاه خطوط الجيش العربي، تسير قوات يهودية نحو الرملة للقيام بعمليات طرد أخرى.

الهدنة الأولى

العربية على فعل شيء لتعزيز أو إعادة انتشار قواتها. ومع جدد القتال في غضون أربعة أسابيع. تمتعت القوات اليهودية بتفوق عسكري على الجيوش العربية.

الدور السوفيتي خلال الهدنة الأولى

على نحو شبيه لدور العدو في الحرب الباردة. لعب الاتحاد السوفيتي دورا حاسما في احداث النكبة. فكان نظام جوزيف ستالين مصدرا كريما بالسلاح والعتاد للأفراد المقاتلين اليهود. وذلك بواسطة تزويد الحمولات الأكبر من المهاجرين إلى فلسطين من موانئ البحر الأسود وتوفير إرساليات ضخمة من الأسلحة الثقيلة، الدبابات والطائرات عبر تشيكوسلوفاكيا. فكان لهذا أهمية بالغة خلال الأسابيع الأربعة للهدنة الأولى. حيث خرق الاتحاد السوفياتي من خلالها حظر التسلح على المقاتلين والمفروض من قبل الأمم المتحدة. في حين جرى احترامه من جانب الراعين الغربيين للعرب مما رجح كفة الميزان العسكري والعتادي والنفسي بشكل حازم لصالح الصهاينة.

شهدت الفترة الممتدة من ١١ حزيران إلى ٨ تموز هدنة بين الجيوش الإسرائيلية والعربية. وذلك بوساطة الأمم المتحدة. كان الوسيط المعين من مجلس الأمن الدولي الكونت فولك برنادوت. وقد بعث في حزيران ١٩٤٨ برسالة لوزير الخارجية الإسرائيلي عبر فيها عن اعتقاده أنه من المستحيل عزل القدس عن محيطها العربي في أي مخطط للتقسيم. وأن المدينة لن تكون أبدا جزءا من الدولة اليهودية. وفي أيلول. قام بتسليم تقرير للأمم المتحدة حول التطورات حيث صرح فيه :

«لن تكون هناك تسوية عادلة وكاملة ما لم يكن الاعتراف متماشيا مع حق اللاجئين العربي في العودة إلى المنزل الذي أجبر على تركه بسبب الأخطار واستراتيجية الصراع المسلح بين العرب واليهود في فلسطين. وقد ترتكب مخالفة لمبادئ العدالة الأساسية في حال سلب هؤلاء الضحايا الأبرياء للصراع من حقهم في العودة إلى بيوتهم في حين يتدفق المهاجرون اليهود إلى فلسطين. أو على الأقل طرح تهديد الاستبدال الدائم للاجئين العرب الذين تضرب جذورهم عميقا في الأرض منذ قرون.»

بعد يوم من عرض تقريره للأمم المتحدة. نُصب كمين لبرنادوت في سيارته وقتل في القدس على أيدي عصابة الشتيرن وذلك عملا بأمر من يتسحاق شامير.

الهدنة الثانية

في النصف الأول من عام ١٩٤٩. تقبل القادة العرب أن انشاء «إسرائيل» أصبحت حقيقة على الأرض الفلسطينية ولم يكن لديهم أي خيار سوى أن يمتثلوا لقرار مجلس الأمن ١٦٢ من تشرين أول عام ١٩٤٨ الداعي إلى وقف إطلاق النار. وجرى المفاوضات عبر وساطة خليفة برنادوت رالف باننش. وشددت على أن خطوط الهدنة المتفق عليها لا تشكل على الإطلاق اعترافا بترتيبات نهائية حول الحدود أو الأراضي.



كونت برنادوت لدى عرضه تقريره أمام الأمم المتحدة. على يساره الأمين العام للأمم المتحدة تريغفي لي وخلفه رالف باننش، الرجل الذي خلف برنادوت بعد مقتله.

وخلال الهدنة. قام اليهود بإعادة نشر قواتهم لتكون في الوضع الأفضل لدى جدد القتال. وعلى النقيض من ذلك. لم تقدم القوات

حكومة عموم فلسطين

وحتى في ظل إنشاء كيان فلسطيني مستقل. فان ذلك لم يأت لمنفعة القضية الفلسطينية. فتحويل الإدارة المدنية المؤقتة التي عينتها الجامعة العربية إلى حكومة عموم فلسطين بقيادة اللجنة العربية العليا جاء بوساطة الحكومة المصرية من أجل تحدي سلطة الملك عبدالله على الضفة الغربية عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول في غزة في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٤٨. حيث عرض الميثاق الوطني الفلسطيني الأول والإعلان عن حكومة عموم فلسطين وعاصمتها القدس. الحاج أمين الحسيني رئيساً لها. أحمد حلمي عبد الباقي رئيس وزرائها. جمال الحسيني وزير خارجيتها. وعشرة شخصيات وزراء. كانت حكومة عموم فلسطين لا حول لها ولا قوة على نحو خاص على كافة الأصعدة ومعتمدة تماماً على الراعين المصريين. في حين رفضت الأردن والعراق الاعتراف بها.



المفتي الحاج أمين الحسيني يرأس المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي تبني الميثاق الوطني وشكل حكومة عموم فلسطين في غزة



الوفد اللبناني يوقع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل عام ١٩٤٩

اتفاقات الهدنة العربية- الإسرائيلية

الرابع والعشرون من شباط. كان ممثلو مصر وإسرائيل أول من وقع على اتفاق هدنة. يتبع خط وقف إطلاق النار حدود الانتداب البريطاني فيما عدا القطاع الساحلي المؤدي إلى مدينة غزة. وعادت القوات المصرية التي كانت ما تزال تدافع عن جيب الفالوجة إلى مصر مع أسلحتها!

الثالث من آذار: توقع لبنان اتفاق هدنة مع إسرائيل. يتبع خط إطلاق النار الحدود الدولية السابقة لتنسحب القوات الإسرائيلية من ١٣ قرية محتلة في جنوب لبنان.

الثالث من نيسان: تنهي الملكة الهاشمية مفاوضات حول هدنة بدأت في أوائل آذار في جزيرة رودوس اليونانية. اهتمت إسرائيل بالأساس بتحقيق إمكانية وصول حرة إلى جبل المشارف والأماكن الدينية اليهودية في القدس. بتصحيح الحدود. وتواجد قوات عراقية في الضفة الغربية. في حين سعت الأردن إلى طرح قضية اللاجئين وقضية الممر المؤدي من البلدة القديمة للقدس إلى بيت لحم. ووقع اتفاق يلبي كافة هذه المطالب باستثناء قضية اللاجئين. تحديد خط الهدنة للضفة الغربية. تحويل عدد من القرى العربية في الجزء المركزي للبلاد إلى إسرائيل وتوفير لجنة مختلطة للعمل على ترتيبات في القدس.

العشرون من تموز: توافق سوريا على الانسحاب من معظم المناطق التي استولت عليها خلال الصراع. والتي تحولت إلى مناطق منزوعة السلاح.

لم توقع العراق على اتفاق. وجاء انسحابها من شمالي الضفة الغربية عملاً ببنود اتفاق الهدنة الإسرائيلي-الأردني.



الوفد الاردني خلال توقيع الهدنة مع إسرائيل، الثالث من نيسان ١٩٤٩. العقيد أحمد صدقي الجندي والمقدم محمد المعايطة والمقدم علي أبو نوار.

الإعلان عن الاستقلال، الأول من تشرين أول ١٩٤٨ «مقتطفات»

«بناءً على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال. هذا الحق المقدس الذي بذل في سبيله أذى الدماء. وكافح دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع به. فإننا نحن أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة هاشم. نعلن هذا اليوم ٢٨ ذي القعدة ١٣٦٧ الموافق ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨. استقلال فلسطين كلها: يحدها شمالاً سوريا ولبنان وشرقاً الأردن. وغرباً البحر الأبيض المتوسط وجنوباً مصر. استقلالاً تاماً. وإقامة دولة حرة ديمقراطية ذات سيادة يتمتع فيها المواطنين بحرياتهم وحقوقهم وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الانسانية مستلهمين في ذلك روح الامة وتاريخها المجد ومصممين على صيانة استقلالنا والذود عنه. والله تعالى على ما نقول شهيد».



وفد مؤتمر أريحا برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري يقدم قرارات المؤتمر للملك عبد الله

تولت الحكومة الأردنية تدريجياً مسؤولية الوظائف المدنية في الضفة الغربية حيث دفعت رواتب الموظفين المدنيين واستوعبت محافظين محليين في ما سمي بالملكة الأردنية الهاشمية الأردنية.

وفي شباط ١٩٤٩. جرى تعديل قانون الجنسية الأردني لمنح كل فلسطيني مواطنة أردنية.

ولإسكات أصوات المعارضه العربية ضد الخطوة الأردنية بضم الضفة الغربية وانهاء «الخلاف العربي» على الورقة الفلسطينية.

وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة السياسية التالي:

«لما كانت الدول العربية قد أعلنت استمساكها بعروبة فلسطين واستقلالها وسلامة اقليمها حقيقياً لرغبات سكانها الشرعيين ورفضت كل حل يقوم على أساس تجزئتها. فإن المملكة الأردنية الهاشمية تعلن أن ضم الجزء الفلسطيني اليها انما هو اجراء اقتضته الضرورات العملية وانها تحتفظ بهذا الجزء وديعة تحت يدها على ان يكون تابعاً للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير اجزائها الأخرى بكيانها الذي كانت عليها قبل العدوان. وعلى ان تقبل في شأنه ما تقرره دول الجامعة الأخرى»^(١).

الأردن وفلسطين

في تشرين أول عام ١٩٤٨. شرع الملك عبد الله في سلسلة من الخطوات لتحقيق «ضم» الجزء المتبقي للدولة العربية حسب قرار التقسيم الى الدولة الاردنية. وقد بدأت بعقد مؤتمر في عمان بناءً على مبادرة من الحكومة. والذي دعا فيه عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين لعقد مؤتمر فلسطيني أوسع للإعلان عن «الوحدة» الفلسطينية المناداة بالملك عبد الله كملك فلسطين. وقام الملك عبد الله عندها بجولات على مدن وقرى فلسطين. حيث أعاد إحياء علاقاته الشخصية مع عدد من رؤساء البلديات والوجهاء والعائلات الرئيسية في البلاد.

وفي الأول من كانون أول ١٩٤٨. دعا «مؤتمر أريحا» إلى «ضم» ما تبقى من فلسطين الى المملكة الاردنية الهاشمية من أجل إنقاذ ما تبقى من فلسطين في أسرع وقت ممكن. خاصة على أثر الفشل العربي في مواجهة الصهاينة وعلى ضوء الواقع الجديد المتمثل بأن المناطق الفلسطينية أصبحت فعلياً بإدارة السلطة الأردنية. صوت مؤتمر أريحا لصالح قرار دعا إلى توحيد الأردن وفلسطين كخطوة تجاه وحدة عربية كاملة والاعتراف بالملك عبد الله كملك على عموم فلسطين. ووافقت الحكومة الأردنية والبرلمان الأردني على ذلك.

استمرار النكبة

نظرا لامتلاكهم نسبة تقل عن سبعة بالمائة من أراضي فلسطين في عهد الانتداب، وُعد اليهود بالحصول على نسبة ٥٦ بالمائة بواسطة قرار الأمم المتحدة للتقسيم واستولوا على ما مجموعه ٧٨ بالمائة في صراع عام ١٩٤٨. وبهدف تأمين شعبهم، قاموا باجتثاث ما نسبته ٩٠ بالمائة من الفلسطينيين من منازلهم وأرسلوا بغالبيتهم العظمى إلى المنفى. وشرعوا فوراً في أعقاب الهدنة في حملة لاستكمال تهجير الشعب الفلسطيني. حاول اللاجئون الذين وجدوا أنفسهم خارج الحدود الإسرائيلية بعد الصراع مرارا العودة إلى بيوتهم. معتبرة إياهم الحكومة الإسرائيلية «متسولين». وجرى اعتقالهم وسجنهم وطردهم. ولم يمض وقت طويل قبل أن تتبنى إسرائيل سياسة إطلاق النار على الفلسطينيين العائدين.

كان الإسرائيليون سريعيين في تشكيل بنية قانونية لتسهيل



الاستيلاء على ملكية أراضي العرب الخلاة من ساكنيها خلال الحرب. وحتى قبل الإعلان عن قيام دولتهم، كانت هيئات قد شكلت لإدارة الأراضي المحصلة بواسطة طرد أصحابها الشرعيين. وقد منحوا مكانة قانونية في أنظمة الطوارئ عام ١٩٤٨ قبل تطويرها إلى قانون أملاك الغائبين في عام ١٩٥٠. والذي منح الإسرائيليون «وصاية» على أراضي الغائبين لغاية حل مشكلة اللاجئين.

عرف «الغائب» بأنه كل عربي ترك قريته بعد تشرين ثاني ١٩٤٧. حتى وإن بقي في داخل حدود إسرائيل. وهذا شمل. على سبيل المثال. أصحاب أراض في عكا كانوا قد سافروا بضع أمتار من منطقة البلدة الجديدة إلى البلدة القديمة فأصبحوا بالتالي معرضين لمصادرة بيوتهم. لحارس أملاك الغائبين سلطة واسعة في الإعلان عن مكانة غائب ولم يكن ملزماً بتزويد مصادر المعلومات التي دفعته إلى اتخاذ القرار: بالإضافة إلى هذا. لا يمكن استرجاع

الأرض في اللحظة التي بيعت فيها للحارس. فضمن هذا الإجراء بقاء الأرض في أيدي يهودية فور تغيير ملكيتها. وقد أعطى ذلك تخويلاً بسرقة أملاك ما يزيد عن مليون فلسطيني طردوا من بيوتهم في عام ١٩٤٨.

من أصل ما يزيد عن ٨٠٠ بلدة وقرية فلسطينية تواجدت في فلسطين في عام ١٩٤٥. بقي أقل من ٤٥٠ بعد أحداث ١٩٤٨ من بينها فقط ١٠٥ داخل حدود إسرائيل.

عقد مؤتمر اللاجئين الفلسطينيين في رام الله في السابع عشر من آذار (مارس) ١٩٤٩ وضم ثمانمائة ممثل عن سائر اللاجئين المقيمين في المناطق العربية في فلسطين والبالغ عددهم ثلاثمائة الف نسمة وقرروا: (٢١)

- يصرّ اللاجئون على العودة الى بلادهم كحق لهم دون الانتظار لنتائج الحلول السياسية لقضية فلسطين .
- يطلب اللاجئون تعويضهم كاملاً عن الاضرار المادية التي لحقت بهم بجميع انواعها سواء قبل انتهاء الانتداب او بعد ذلك.
- تأمين اللاجئين على استلام اموالهم وممتلكاتهم والمحافظة عليها حتى عودتهم الى بلادهم.
- أخذ الضمانات الكافية لتأمين استقرار اللاجئين في ديارهم وحفظ حرياتهم.
- يقرر المؤتمر انه ليس لاية هيئة حق تمثيلهم. ويخولون المجلس المنبثق عن المؤتمر وحده حق تمثيلهم.
- يقرر المؤتمر تأليف هيئة تمثلهم على الشكل الآتي
- أ- مجلس اللاجئين ويؤلف اربعين عضوا ينتخبهم المؤتمر ويمثلون اللاجئين تمثيلاً صحيحاً.
- ب- لجنة تنفيذية من عشرة اشخاص ينتخبها المجلس من بين اعضائه وهم:

- ١ محمد نمر الهواري (٢) يحيى حموده (٣) عزيز شحاده (٤)
- محمد اليحيى (٥) عبد الفتاح درويش (٦) علي العطاونه (٧)
- طلعت البرغوثي (٨) صالح عون الله (٩) زكي بركات (١٠)
- احمد محمد صالح

سرقة الضرائب الفلسطينية

أصدر بنك أجلو- فلسطين المعروف حالياً ببنك ليئومي الإسرائيلي في آب ١٩٤٨ الليرة لتستبدل الجنية الفلسطيني المستخدم خلال عهد الانتداب البريطاني. وتم الاستيلاء على حسابات مصرفية عامة وخاصة في فلسطين، ونقل البريطانيون حسابات مصرفية حكومية من عهد الانتداب والمتواجدة في إنجلترا إلى أيدي الإسرائيليين. فكان البريطانيون بهذه الطريقة متورطين في تجريد الفلسطينيين من ضرائب جمعت على مدى الحياة، ومستكملين بالتالي سلب أملاك اللاجئين الفلسطينيين.

وجدير بالذكر أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في مسألة اللاجئين الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ ١١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ (١٤) ينص على:

« تقرر وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة الى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب وضع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة الى بيوتهم، وعن كل مفقود او مصاب بضرر عندما يكون من الواجب وفقاً لمبادئ القانون الدولي والانصاف ان يعرض عن ذلك الفقدان او الضرر من قبل الحكومات او السلطات المسؤولة. وتصدر تعليمات الى لجنة التوفيق بتسهيل اعادة اللاجئين الى وطنهم وتوطينهم من جديد واعادة تأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي وكذلك دفع التعويضات».

الأدوات الديموغرافية

جرى تبني قانونين بعد أحداث ١٩٤٨ لضمان أغلبية يهودية في البلاد. وكان أولها قانون العودة للعام ١٩٥٠، حيث منح أي يهودي في العالم الحق في الاستيطان في إسرائيل



وقد اعلن الوفد الإسرائيلي في محادثات لوزان مع لجنة التوفيق الدولية والوفود العربية: «ان إسرائيل لن تتفاوض مع هيئات شعبية، رفض التفاوض مع وفد اللاجئين الفلسطينيين. وان إسرائيل تريد التفاوض مع الحكومات العربية، واذا كان الفلسطينيون، وهنا وفد اللاجئين، معنياً جداً بقضيته، فعليه ان يمارس «ضغطاً» على الحكومات العربية حتى يفاوضوا إسرائيل». رفض الفلسطينيون (وفد اللاجئين) القيام بدور الوساطة بين إسرائيل وحكومات الدول العربية وعلن ذلك بحضور الوفود العربية.

واعلنت لجنة التوفيق الدولية في ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٥١ في تقريرها عن مباحثاتها في باريس توصياتها وهي:

١- موافقة الحكومة الاسرائيلية على اعادة عدد محدود من اللاجئين وعلى اسس تمكنها من دمجهم في الاقتصاد الاسرائيلي.
٢- قبول الحكومة الاسرائيلية دفع تعويضات عن الممتلكات التي يتركها اللاجئين الذين لا يعودون، ويكون التعويض مبلغاً يقدر على اسس القيم التي توصل اليها مكتب لجنة اللاجئين وان توضع خطة للدفع تأخذ بعين الاعتبار قدرات الحكومة الاسرائيلية على ذلك، توضع هذه الخطة من قبل لجنة خاصة من الخبراء الاقتصاديين والماليين يتم تعيينها من قبل هيئة الأمم المتحدة.

وفي ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر)، رفض الوفد الاسرائيلي هذه المقترحات ورفض الاستمرار في المفاوضات. وتوقفت مهمة لجنة التوفيق الدولية، وبقيت أوراقها ومحاولاتها بانتظار «ارادة دولية» لتنفيذها!

وأن يصبح مواطننا إسرائيلياً، الأمر الذي حقق عملية شكلت جزءاً أساسياً من الحركة الصهيونية منذ بداياتها. أما القانون الثاني عام ١٩٥٢ فهو قانون الدخول إلى إسرائيل حيث تحكّم في دخول الأجانب إلى إسرائيل، فجرد اللاجئين الفلسطينيين من أي حق قانوني يطالبون من خلاله



العودة إلى بيوتهم. بغض النظر عن ما دار من نقاش كثير حول طبيعة عمليات الطرد، إلا أن لاجئين في كافة أنحاء العالم يعودون دائماً إلى ديارهم في أعقاب انتهاء الصراع. يكمن جوهر النكبة في رغبة الإسرائيليين على نحو مستمر في انكار ورفض حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم.

الإرث الباقي لقضية اللاجئين منذ ١٩٤٨

كان تطهير السكان العرب من فلسطين هدفاً جوهرياً في الاستراتيجية الصهيونية. شبه حاييم وايزمان السكان الأصليين بـ «صخور يهودا». عثرات يتوجب إزالتها في الطريق الصعب»^(٢٣). وقد سادت هذه الرؤيا وأدمجت منذ ذلك في السياسة الإسرائيلية. ونتيجة لسيرورة النكبة المستمرة. أصبح الفلسطينيون مجموعة اللاجئين الأكبر والأقدم وهم يشكلون حالياً ما يزيد عن ربع مجموع اللاجئين في العالم.

لقد ترك العديد من الفلسطينيين الذين فروا من بيوتهم في عام ١٩٤٨ مع قليل من أغراضهم لاعتقادهم بأنهم سيعودون إلى بيوتهم في غضون أيام. ومع انقضاء العنف في قراهم. فما هم الآن يعيشون في حال انتظار في مخيمات مزدحمة وتفتقد سبل العيش الكريم في كل من لبنان. سوريا. الأردن والأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة. هم وسليبتهم الذين وصلوا الجيل الرابع.

قدرت لجنة التوفيق الدولية الأمم أن ما عدده ٧٢٦,٠٠٠ فلسطيني (نسبة ٧٥ بالمائة من مجموع السكان العرب في فلسطين) قد فروا إلى خارج فلسطين «للاجئي ١٩٤٨» في حين ظل ٣٢,٠٠٠ في داخل حدود الهدنة. ودمرت ٥٣١ قرية وبلدة أو استوطنت باليهود. ويقدر مجموع الخسائر من جراء تدمير ومصادرة الأملاك الفلسطينية بمبلغ ٢٠٩ مليار دولار أمريكي. بالإضافة إلى اللاجئين. هنالك فلسطينيون مهجرون داخلها والذين طردوا من قراهم. الواقعة فيما أصبح إسرائيل. خلال حرب عام ١٩٤٨. ومع نهاية الحرب. وصل تعدادهم ٣٠ إلى ٤٠ ألف نسمة في داخل إسرائيل ولم يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم كما وُضِعوا تحت حكم عسكري من أجل تسهيل سلب ملكية أراضيهم. ولغاية اليوم. لا تعترف إسرائيل بالفلسطينيين المهجرين داخلها. والذين يقدر عددهم حالياً بما يتراوح بين ٢٦٣,٠٠٠ و ٣٠٠,٠٠٠.^(٢٤)

وفي عام ١٩٥٠. تسجل ٩٤١,٠٠٠ لاجيء لدى وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين (الأثروا). وفي عام ١٩٦٧. سُرد ما عدده ٣٠٠,٠٠٠ فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة «النازحين عام ١٩٦٧». بما فيهم حوالي ١٧٥,٠٠٠ مسجلين أصلاً لدى الأثروا ليصبحوا بالتالي لاجئين للمرة الثانية. يقدر اليوم المجموع الكلي للاجئين من عام ١٩٤٨ بحوالي ٥,٥

مليون. من بينهم أربعة ملايين مسجلين لدى الأثروا و ١,٥ مليون إما ببساطة لم يتسجلوا أو أنهم لم يكونوا بحاجة للمساعدة عندما أصبحوا لاجئين. بالإضافة إلى هذا. هنالك ٢٦٣,٠٠٠ مهجر داخلها (في عام ١٩٤٨) وما عدده ٧٧٣,٠٠٠ من النازحين في عام ١٩٦٧.^(٢٥)

التزام لم يطبق

تم قبول إسرائيل في الأمم المتحدة في الحادي عشر من أيار ١٩٤٩ شرط أن تلتزم بتنفيذ قرار الأمم المتحدة ١٩٤. الذي أقرته الجمعية العامة في كانون أول ١٩٤٨ المذكور. ولغايات «تسريع» عملية الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة. وافقت حكومة إسرائيل على إعادة (١٠٠,٠٠٠) مائة الف لاجيء فلسطيني إلى وطنهم. وعملاً بعاداتها في الالتزام باتفاق حتى يصبح ليس بذئ صلة لحاجتها ومن ثم جاهل التزاماتها بوجود حصانة من المساءلة. لم تف إسرائيل أبداً بهذه المتطلبات في اللحظة التي حققت فيها اغراضها السياسية وفي مقعدها في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

«إن الظاهرة السائدة بيننا منذ سنوات متسمة في انعدام الحساسية تجاه الأعمال الخائئة... الفساد الأخلاقي... فبالنسبة لنا. عمل خاطيء ليس بالأمر الجدي بحد ذاته: فنحن نتنبه له فقط في حال وجود تهديد لحدوث أزمة أو وقوع نتيجة خطيرة مثل فقدان منصب. فقدان القوة أو فقدان التأثير.

«ليس لدينا توجهها أخلاقياً نحو المشاكل الأخلاقية بل توجهها براغماتياً للمشاكل الأخلاقية... ففي إحدى المرات. قتل جنود إسرائيليون عدد من العرب بدافع الانتقام الأعمى... ولم تُستخلص العبر من هذا. لم تخفض رتبة أحد أو يفصل أحد من منصبه. ثم وقعت [مذبحة] دير ياسين... ولم يستخلص المسؤولين أية عبرة. غير أن هذا لا يعني بأن الرأي العام. الجيش والشرطة لم يخلصوا إلى شيء؛ فكانت خلاصتهم بأن الدم العربي يسفك بحرية.

«يستلزم كل هذا الدفع بتغيير معنى العدالة والصدق بمفهوم الرأي العام؛ فلا بد أن تظهر الدولة [الإسرائيلية] في عيون العالم كدولة متوحشة لا تعترف بمبادئ العدالة التي أسسها وتبناها المجتمع المعاصر...»^(٢٦)

موشيه شاريت. رئيس وزراء إسرائيل السابق (أقتبس في كتاب ليفيا روكاج. إرهاب إسرائيل المقدس: دراسة تركز على مذكرات موشيه شاريت ووثائق أخرى. AAUG, Press. ١٩٨٠. صفحة ٣٦)

الهوامش

- ١- قضية فلسطين في خرائط. باللغة الإنجليزية. مطبوعات الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية. عام ٢٠٠٢.
- ٢- وليد الخالدي. قبل الشتات (التاريخ المصور للشعب الفلسطيني. ١٨٧٦-١٩٤٨). مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٨٨ ص ٤١.
- ٣- د. أحمد طربين. فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار (١٨٩٧-١٩٢٢). معهد البحوث والدراسات. القاهرة ١٩٧٠ ص ١٣١.
- ٤- خيرية قاسمية. مذكرات عوني عبد الهادي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ٢٠٠٢ ص ٥٦-٥٧.
- ٥- أكرم زيتير. وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨-١٩٣٩). مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٧٩ ص ١٩.
- ٦- د. أحمد طربين. فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ١٣١.
- ٧- بيان نويهض الحوت. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين. (١٩١٧-١٩٤٨). مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٨١ ص ٧٣٩.
- ٨- الوثيقة رقم (١٨) الفتوى بشأن بيع الأراضى والسمسرة صادرة عن المؤتمر الأول لعلماء الدين بفلسطين. (٢٥ كانون الثاني - يناير ١٩٣٥).
- ٩- زئيف جابوتنسكي. الجدار الحديدي. ١٩٢٣.
- ١٠- ماير ويزغال. حاييم وايزمن. رجل الدولة. العالم وباني الكومونولث اليهودي. نيويورك. مطبوعات دابل. ١٩٤٤ ص ١٣١.
- ١١- دورين انفرام. أوراق فلسطينية. (١٩١٧-١٩٢٢) (جذور الصراع) نيويورك ١٩٧٣.
- ١٢- أفي شلايم. تواطؤ عبر الأردن. مطبوعات اكسفورد. لندن ١٩٨٨.
- ١٣- ايلان بابيه. التطهير العرقي لفلسطين. لندن ٢٠٠٦.
- ١٤- نور مصالحه. طرد الفلسطينيين. مركز الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٩٢.
- ١٥- جون غلوب. جندي مع العرب. لندن ١٩٥٧.
- ١٦- جون غلوب. المصدر السابق.
- ١٧- أفي شلايم. تواطؤ عبر الأردن. المصدر السابق ص ١٤٢ مع ١٥٧.
- ١٨- وليد الخالدي. مذكرات من الحرب الأولى على فلسطين. مجلة دراسات فلسطينية. مجلد (٢) رقم (٢) ١٩٧٣.
- ١٩- جيفري فيرلونغ. فلسطين هي بلادي. قصة موسى العلمي. لندن ١٩٦٩.
- ٢٠- ايلان بابيه. صناعة الصراع العربي الإسرائيلي. (١٩٤٧-١٩٥١). لندن ١٩٩٤ ص ٥١.
- ٢١- تقرير الوسيط الدولي كونت فولك برنادوت. ١٩٤٨.
- ٢٢- السجلات الرسمية للجمعية العامة للأمم المتحدة. الجلسة الثالثة (١٩٤٨).
- ٢٣- مهدي عبد الهادي. المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية (١٩٣٤-١٩٧٤) المطبعة العصرية. صيدا. بيروت ١٩٧٥ ص ١٩٥.
- ٢٤- مهدي عبد الهادي. المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية. المصدر السابق ص ٦٤.
- ٢٥- نور مصالحه. طرد الفلسطينيين. مصدر سابق.
- ٢٦- تقرير حول اللاجئين الفلسطينيين. (أيار ٢٠٠٣). دائرة شؤون المفاوضات. منظمة التحرير الفلسطينية.
- ٢٧- ليفيا روكاج. ارهاب اسرائيل المقدس. (دراسة في مذكرات موشيه شاريت) ووثائق أخرى. مطبوعات Arab American University Graduate ١٩٨٠ ص ٣٦.

ملاحظة أخيرة

بعد مرور ستين عاماً على النكبة الفلسطينية، نستطيع، نحن معشر الفلسطينيين ان نستخلص الدروس والأسباب وراء استمرار التهجير المتواصل لشعبنا عن أرض وطنه في أربع مستويات:

الأول: تواطؤ المجتمع الدولي في نقل المسألة اليهودية من أوروبا إلى فلسطين، ودعمه المتواصل للحركة الصهيونية، وفشله وتواطئه أيضاً في احترام وتنفيذ القانون الدولي لحماية الحقوق الفلسطينية وتلبية المطالب الفلسطينية في حق تقرير المصير من خلال وضع حد للممارسات الصهيونية في الماضي ولسياسات وأدوات الاحتلال الإسرائيلي فيما بعد.

الثاني: استعمار دولة إسرائيل المتواصل للأرض الفلسطينية، بالإضافة إلى الجرائم ضد الشعب الفلسطيني، والخرق المتواصل للقانون الدولي وحقوق الإنسان، ورفضها في تطبيق المادة (١١) من قرار الأمم المتحدة ١٩٤٤ بعودة اللاجئين، وكذلك خرقها لكافة الاتفاقيات الدولية وأيضاً ما وقعت عليه من اتفاقيات مع القيادة الفلسطينية منذ اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣.

الثالث: النفاق السياسي للقيادات العربية، واستخدامها الساخِر لتراجيديا فلسطين كأداة احتيال في السياسة المحلية والإقليمية والدولية، والشبكة المتداخلة والمتناقضة وغير المستقرة للتحالفات العربية الداخلية والصراعات الشخصية بين المسؤولين العرب وعلى كافة المستويات والتي ساهمت في نكبة فلسطين..

الرابع: الصراعات والانقسامات الداخلية الفلسطينية - الفلسطينية، وتعدد الولاءات وفقاً لأحداث وأوليات، والتدخل المباشر في الشؤون الداخلية والدولية وتوجيه مسار الحالة الفلسطينية من جانب الأخوة العرب ولاعبين أجانب بما فيهم إسرائيل، هذا بالإضافة إلى أزمة القيادة المزمرة بانعدام الإستراتيجية والبرامج العملية والصراعات الشخصية العميقة والمتواصلة، والحرص على المصلحة الشخصية، في «حق البقاء»، والأكثر إبلاماً للمجتمع الفلسطيني هو تقطيع الأوصال الحالي للهوية الفلسطينية المتجذرة وتشويه الحقوق الفلسطينية.

إن الفلسطينيين مدعوون لأحياء الذاكرة الوطنية في قضايا نكبتهم الأولى واستمرارها، وأن يستخلصوا العبر من أخطاء القرن الماضي فيما يخص النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال، ومع الأمل بأن تصبح العدالة الإنسانية أساساً لإنهاء نكبة الشعب الفلسطيني.

د. مهدي عبد الهادي

القدس، ١٥ أيار (مايو) ٢٠١٠

